شعراء الدعوة الإسلامية

في العصر الحديث

تأليف

احمد عبد اللطيف الجدع

حسني دهم جرار



محمد محمود الزبيري

احمد محمد صديق

جمال فوزي

عبد الرحمن بارود

عصام العطار

مؤسسة الرسالة

شعراء الدعوة الإسلامية
في العصر الحديث

تأليف

احمد عبد اللطيف الجدع

حسني أدهم جرار

الجزء الأول

مؤسسة الرسالة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

من أدب الدعوة الإسلامية Facebook:RareIslamicPoetry

شعراء هذا الجزء :

محمد محمود الزبيري

احمد محمد صديق

جمال فوزي

عبد الرحمن بارود

عصام العطار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدِّمَة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيرا .

أما بعد . .

لقد اهتمت الدعوة الإسلامية منذ أيامها الأولى بالشعر والشعراء ، وأحلّ الرسول صلى الله عليه وسلم الشعراء مكاناً بارزاً في الإعلام الإسلامي ، فأدى الشعراء الرسالة التي أنيطت بهم ، فتصدوا لشعراء المعسكرات المناوئة للدعوة آنذاك : المشركين واليهود والمنافقين ، فأبطلوا باطلهم وردوا افتراءاتهم ووفقوا في ذلك التوفيق كله . . .

وكذلك استمر شعراء الإسلام على مرّ العصور ، دعاة هداة ، وجنوداً حماة ، يرفعون صوتهم بالدعوة إلى الله ،

ويرمون بشعرهم أعداءالإسلام فيدركون المقاصد ويصيبون من أعدائهم المقاتل .

ولكن آراء ألقيت هنا وهناك زعمت أن الإسلام وقف من الشعر موقف العداء ، وذم الشعراء وألحقهم بالغواة والمنافقين ، واستشهدوا بالقرآن الكريم ، وأوردوا آيات منه قرأوها مجزّأة مبتورة ليصلوا إلى تأييد رأيهم السقيم ، فقالوا بأن الله ذم الشعر والشعراء في قوله الكريم « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم ترأنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون »[1] ووقفوا في قراءاتهم واستشهادهم عند هذه الآيات ولم يتموا القراءة لأنهم علموا أنها لا توافق ما ذهبوا إليه ... والقرآن الكريم يقول بعد ذلك « إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .[2]

فالقرآن الكريم لم يذم الشعر بإطلاقه ولم يذم الشعراء بعامتهم ، فالذي فعله القرآن الكريم هو تقسيم الشعراء إلى فريقين : (فريق مع الله إيماناً وطهراً وصدقاً وتضحية ، وفريق مع الشيطان كفراً وفجوراً وزيفاً وضياعاً)[3] ، وميز في الشعر اتجاهين أحدهما يدعو إلى الشّر وإلى إثارة النعرات ويشهر بالأعراض ويقتحم المنكرات والآخر يدعو إلى الخير

---

(١) الآيات ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ من سورة الشعراء .

(٢) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء

(٣) يوسف العظم في مقدمة ديوانه « في رحاب الأقصى » ص ٦ .

وينشر السعادة وينتصر للمظلومين وينافح عن عقيدة الدين .

فالشعراء الإسلاميون هم الذين يحيون تحت مظلة الاستثناء القرآني الكريم : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا » .

والمتتبع لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر والشعراء سيجدها لا تخرج عن الأهداف والغايات التي دعت إليها الآيات الكريمة ، وكيف تخرج عنها والرسول عليه السلام إنما بعث بالقرآن ، ولم تكن أحاديثه وأفعاله إلا مصدقة لكلام الله الكريم ومفصلة لما أجمله كلام رب العالمين .

لقد كان الرسول الكريم يقول عندما يستمع إلى رائع من الشعر أو النثر « إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا » وكان يقول لحسان بن ثابت شاعر الإسلام : « نافح عنا ، وروح القدس يؤيدك » « أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس » « أهجهم وجبريل معك » ، وقال لكعب بن مالك « أهجهم — أي الكفار — ، فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل » ، وروي أنه عليه السلام كان يقول : « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم » .

لقد وجه الرسول الكريم الشعراء الذين أسلموا وجهة جديدة ، وجعل للشعر وظيفة نبيلة هي المنافحة عن الحق والرد على أعدائه والوقوف في طريق أولئك الذين أطلقوا ألسنتهم افتراءً على الله ورسوله والمسلمين .

إذن ، فقد اهتم الإسلام بوظيفة الشعر ، واعتنى بتوجيه

مضمونه ، فأراد بذلك أن يسمو بالشعر والشعراء وأن يجعلهم أداة بناء وإسعاد بعد أن كانوا من قبل أداة هدم وشقاء .

ولقد فهم الصحابة موقف الإسلام من الشعر كما علمهم القرآن ورسول الإسلام فكان منهم من قال الشعر وأجاد ، ومنهم بالإضافة إلى حسان أمير شعراء الإسلام كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، ورويت أقوال عن كبار الصحابة تحث على تعلم الشعر والعمل بمضمونه ، نكتفي هنا بإيراد قول عمر « احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ، فان محاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساويها » فإن ما قدمناه من آيات القرآن وأحاديث الرسول فيه أوفى بيان .

لقد كان الرأي الذي اتهم الإسلام بعدائه للشعر والشعراء رأياً عارضاً استمر مؤيدوه قلة منزوية إلى أن جاء العصر الحديث فتلقف أعداء الإسلام الكثر هذا الرأي فأبرزوه وألحوا على إبرازه بوسائل الإعلام المتعددة. حتى خيل للكثيرين أن هذا الرأي صحيح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولقد كان من أهدافهم من وراء مناصرة هذا الرأي – وقد أدركوا جيداً ما للشعر من تأثير على النفوس – أن يبعدوا الإسلام عن ميدان الشعر فتخلو الساحة لأعداء الإسلام والمنحرفين من أبنائه ينشرون زيفهم وضلالهم وافتراءاتهم ويزينون كل ذلك ويصرفون به أبناء المسلمين عن القيم الرفيعة والمبادىء القويمة والأخلاق المتينة والأهداف السامية فيبقى المسلمون أسرى

الوهم الحضاري الغربي الصليبي والشرقي الشيوعي وتبقى بلادهم وخيراتهم طعمة سائغة لهم ينعمون بها ويلتذون باستغلالها ، والمسلمون من خيراتهم محرومون وفي بلادهم غرباء مظلومون .

ولكن هذا الرأي وجد من يرد عليه ويفنده ، فكتب الأدباء المسلمون مقالات مطولات بينوا زيفه وضلاله ، ورد شعراء الإسلام المعاصرون رداً عملياً حين أخرجوا روائع الشعر الإسلامي الحديث متتبعين الأهداف الإسلامية التي وضعها الإسلام للشعر...

* * *

ولقد جدت في العصر الحديث قضايا شعرية كثيرة كان لا بد أن يدلي فيها الشعراء الإسلاميون بدلوهم ويقولوا فيها رأيهم ، وسوف نتتبع باختصار رأي بعض الشعراء الإسلاميين في كثير من هذه القضايا ...

إذا كان كثير من الشعراء في عصرنا هذا وجه شعره لخدمة حزبه أو لنشر ضلاله ، واللهو بغرامه فإن الدكتور يوسف القرضاوي يوضح في بيان أن شعره وقفٌ لنصرة مبادئه :

وقفتك يا شعري على الحق وحـده
فإن لم أنل إلآه قلت لهـم حسبي[1]

---

(١) من شعره المخطوط .

وإن قال غرٌّ نوّلي قلت دعوتي
وإن قال لي حزبي أقول له ربي

فعش كوكباً ياشعر يهدي إلى العلا
وينقض رجماً للشياطين كالشهب

وإذا كان الكذب والافتراء أصبحا عنواناً للشعر في هذا العصر فإن الشعراء الإسلاميين لا يخوضون في بحر الكذب بل يلتزمون الصدق ، وهو التصور الإسلامي لكل دعوة ، وقد أرسى هذا المبدأ شعراً حسان بن ثابت حين قال :

وإن أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته صدقا

فأكد هذا التصور الكثير من الشعراء الإسلاميين المعاصرين ، فقال الأستاذ وليد الأعظمي :

لساني لم ينطق حراماً ولا هوى
وشعري لم يضمم كلاماً مفنّدا [1]

ولم أتلون كالذين تلمونوا
وزاغوا وراغوا خسّة وتصيدا

وحسبي من الشعر الحلال قصائد
نطقت بها تبقى إذا لفني الردى

وقد نعى الشاعر كمال رشيد على شعراء العصر إغراقهم في الكذب والضلال فقال :

---

(١) ديوانه « الشعاع » .

وكما يمـوت الصدق في زمـــني

مات القصيـد ولامـس الوحـــلا [1]

تجري الأمـوركما لوانطفـــأت

عين البصيرورأيـــه اعتـــــــلا

ويؤكد الأستاذ كمال رشيد أن أهداف شعره تمجيد الإسلام وأبطاله وأيامه لعل أمتنا تأخذ القدوة منها فتعيد تلك الأيام وتنجب مثل هؤلاء الغُر الميامين .

لئن كـان شعرالناس في حب غـادة

يتيهون وجداً في بثينة أو سُعدى [2]

فحُبيّ لأيام كأيام خـــالـــد

يعيش الفتى فيها وقد لبـس المجـدا

وشعري لمجد سطرتـه معــارك

ولكنـه في يومنا بات يستجـــدى

وانتقد الشعراء الإسلاميون فوضى الشعر الحديث ، فنادى الشهيد هاشم الرفاعي بأن يترك الشعر لأهله القادرين عليه المتمكنين منه :

إنما الشعر ما تـدفـق عـذبــاً

في بناء فأحكموا بنيـانـــه [3]

---

(١) ديوانه « شدو الغرباء » .

(٢) ديوانه « شدو الغرباء » .

(٣) الشهاب اللبنانية السنة الثالثة العدد ١١ ص ٥ .

أسمعونا إذا استطعتم قريضاً
لا خيالات جالس في حانة
فإذا شقت القيود عليكم
فدعوه لمن يصوغ جمانة

والشعر عند محمد منلا غزيل جذوة من هدى تشع نوراً فتضيء درب السائرين على الطريق ، وإذا كان الشعر الإسلامي الحديث محاطاً بعقبات وصعوبات فإنه لا بد أن يومض ومضات خاطفة بالرمز والإيحاء :

والشعر إن لم تلح في التيه جذوته
نوراً مبيناً فلا كانت عطاياه [1]
إن لفه الصمت في أكفانه أمداً
أوضمّه الرمز حيناً في حناياه
فالحرف ما زال يذكي وهج شعلته
وقع الصراع فيؤتي بعض نجواه

ويرى الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري أن الشعر يجب أن ينطلق من مشاعر صاحبه ، وأن يكون وثيق الصلة بالله خالقه وأن يدعو إلى كل ما يرقى بالأمة وإلى كل ما يبوئها المجد والسؤدد ، وأن يكون ثورة على الظلم وناصراً للمظلومين ...

أيها القارئون رفقاً بشعري
إن شعري مشاعرمنظومة [2]

---

(١) الشهاب اللبنانية السنة الاولى العدد الثاني ص ١٢ .
(٢) ديوانه « مع الله » ص ٢١ - ٢٢ (قصيدة شعري) .

إنه سبحة إلى الله عبر النور
..في جوّ قدسه معصومة
إنه فطرة إلى المجد ترنو
وإلى العلم والحجا منهومة
إنه وثبة إلى كل خير
إنه عزّة بطيب الأرومة
إنه ثورة على كل بغي
وانتصار لأمة مظلومة

ودواعي الشعر لدى الأميري كثيرة ، وكلها تنبع من الواجبات الملقاة على الشاعر المسلم الملتزم ، فكلما دعا داع من هذه الواجبات سارع الشاعر إلى تلبية النداء :

أنا لا أعرف التصنع في شعري
فشعري سجيتي حين تطلق [1]
كلما شاقني من الدهر صنع
قهقه البشر ملء شعري وصفّق
كلما عاقني عن الخير شر
أرعد السخط في كلامي وأبرق
كلما ساءني بقومي خطب
وجم الهم في قريضي وأطرق
كلما مر بي نعيم وبؤس
في مرايا القصيد حسي تفتّق

---

(١) ديوانه « الوان طيف » ص ٤٥ – ٤٦ (قصيدة شعور) .

وعن طريق الشعر المعبر والكلمة الهادفة يريد الأستاذ أحمد محمد الصديق أن يعبر إلى تحقيق الأماني العذاب وهو يعتبر الشعر قدرة مؤهلة لأن تتغلغل في أعماق النفس ، وأن تصور بالكلمات ما يجول فيها من المعاني والمشاعر وتحولها إلى أهازيج مؤثرة ، وقصائد لها وقعها البالغ في التوعية والتنبيه .

دع الشعر نحو المنى يعبر
ويفضي إلينا بما تضمر[1]

فللشعر ألف جناح طليق
وراء أحاسيسنا يبحر

وللشعر في كل روض هزار
وفي كل غصن له منبر

وقد غالى القاضي محمد محمود الزبيري في مقدرة الشعر حتى أنه اعتقد أنه بالشعر وحده يستطيع أن يهزم الباطل ويحمل السعادة لأمته ووطنه ، فكان مما قاله في مقدمة ديوانه ثورة الشعر[2] « كنت أحس إحساساً أسطورياً بأني قادر بالأدب وحده على أن أقوض ألف عام من الفساد والظلم والطغيان » لذا كان يعتبر بيت الشعر كرصاصة البندقية :

عندي لشر جناة الأرض محكمة
شعري بها شرٌّ قاضٍ في تقاضيه[3]

(١) من قصيدة « ما الذي نريد » من ديوانه « نداء الحق » ص ٨٨ .
(٢) ص ١١
(٣) ديوانه « صلاة في الجحيم » قصيدة « رثاء شعب » ص ١٣٣

أدعو لها كل جبار وأسحبه
من عرشه تحت عبء من مساويه
يحني لي الصنم المعبود هامته
إذا رفعت له صوتي أُناديه
أُذيقُه الموتَ من شعرٍ أسجِّره
أشد من موت عزريل قوافيه
يرى الذي قد توفي حلم قافية
مني . فيمعن رعباً في توفِّيه !

* * *

وأحاطت بالدعوة الإسلامية في العصر الحديث عقبات وعقبات ، فالوضع في العالم استقر لأعداء الإسلام وسيطر هؤلاء الأعداء على كل شيء ، وتربصوا بكل ما يمكن أن يقف في طريق سيطرتهم الدوائر ، وكان أكثر ما يخافه هؤلاء الأعداء صحوة الإسلام ونهضته ، فشددوا نكيرهم على دعاة الإسلام ونصبوا لهم الشراك المتوالية ، فامتلأت بهم السجون وسالت دماؤهم على أعواد المشانق ، وسدت في وجوههم أبواب وسائل الإعلام ومع هذا كله جاهد الدعاة وقاوموا ، وثبتوا وصابروا ، واستطاعوا أن يخرجوا لنا ومضات مشعة تمثلت في إخراج بعض الصحف لفترات متقطعة ، وتمثلت أيضاً في إخراج بعض دواوين الشعر الرفيع ، ولكن كثيراً من الشعراء المسلمين لم يتمكنوا من نشر شعرهم وطباعته ، فظلوا لذلك مجهولين

في أوطانهم المترامية الواسعة فكان عملنا هذا الذي نقوم عليه محاولة للتعريف بشعراء الدعوة الإسلامية المعاصرين .

* * *

وفي البداية واجهنا هذا السؤال : من هو الشاعر الإسلامي ؟ هل هو الشاعر الذي يحيا الإسلام بكل معانيه في جميع مجالات الحياة ويلتزم ذلك كله في شعره ؟ إن هذا الشرط أو هذه الصفة لا يمكن لنا التأكد منها لجميع الشعراء الذين ينتشرون على مساحة واسعة من عالمنا العربي ، ولا نظن أن هذا ممكن لباحث آخر غيرنا لتعذر الإحاطة بحياة كل الشعراء فضلاً عن تعذر الإحاطة بجميع جوانب الحياة لشاعر بمفرده .

إذن فليكن الشاعر الإسلامي هو الذي وقف شعره لخدمة الإسلام وقضاياه دون الالتفات لحياته الخاصة أملتزم هو فيها بالإسلام التزاماً تاماً أم أنه يتجوز فيها أو في بعض جوانبها ، ولما كان الإلمام بالإنتاج الكامل لكل الشعراء متعذراً لأن معظمه مخطوط أو مبعثر في المجلات التي يتعذر الحصول على بعضها ، ولأن بعض الأمور التي يعتبرها أناس تجوزاً غير مقبول يعتبرها آخرون تصرفاً لا غبار عليه كان علينا أن نضع تصوراً آخر للشاعر الإسلامي الذي سوف نعرف به في عملنا هذا فاتفقنا على أن الشاعر الإسلامي هو ذلك الشاعر الذي ينطق معظم شعره بالعاطفة الإسلامية ، ويعالج في قسم من قصائده مشاكل الإسلام وقضاياه ، على أن لا يكون في سائر شعره ما يخالف عقيدة

الإسلام أو يناقض مواقفه الإسلامية الصادقة في قصائده الأخرى .

* * *

من هذا المنطلق بدأنا ، فطبعنا نموذجاً ضمناه مجموعة من الأسئلة عن حياة الشاعر وشعره وسائر إنتاجه ... ثم قمنا باتصالات واسعة لجمع عناوين الشعراء وأرسلنا لهم النموذج في البريد ، ثم قمنا بجولة واسعة على المكتبات العامة والخاصة للاطلاع على الدوريات الإسلامية خاصة نجمع منها الشعر الإسلامي ونطلع فيها على ما يمكن أن تكون هذه المجلات قد كتبته عن حياة الشعراء وشعرهم ثم جمعنا مجموعة صالحة من دواوين الشعراء من المكتبات العامة والخاصة بالإعارة ، ومن المكتبات التجارية بالشراء ، وقد تيسر لنا الاطلاع على كثير من الشعر المخطوط لدى بعض الشعراء ولدى أصدقائهم والمعجبين بشعرهم .

وعلى الرغم من أن قسماً من الشعراء الذين كتبنا لهم لم يستجيبوا لندائنا إلا أن ما تجمع لدينا من معلومات وشعر كان كافياً لنبدأ الكتابة .

* * *

ونقول منذ البداية أن عملنا هذا لم يستهدف دراسة الشعر الإسلامي من الناحية الفنية أو الموضّوعية وإن لم يخل عملنا من لمحات وإشارات هنا وهناك اقتضتها طبيعة البحث الذي نقوم به .

وقد كان هدفنا أن نضع كتاباً يعرف بالشعراء الإسلاميين لأننا نفتقر إلى كتاب يتناول هذا الجانب على أهميته وضرورته ، ثم حاولنا أن نلم بإنتاج هؤلاء الشعراء أكان هذا الإنتاج شعراً أم غيره من المجالات الأخرى ، ثم عرضنا نماذج من شعر كل شاعر حاولنا أن تكون أفضل ما قدم يحكمنا في هذا الإختيار ما تيسر لنا من شعره ، كما حاولنا ما وسعتنا المحاولة أن يكون مجموع ما اخترناه لكل الشعراء ممثلا للجوانب الإسلامية المختلفة التي طرقها شعراء الدعوة الإسلامية المعاصرون .

* * *

وسيجد القارىء تفاوتاً بيناً بين الشعراء من الناحية الفنية ، فمنهم من وصل إلى قمة الإبداع الفني ومنهم من لا يزال يخطو خطواته الأولى في ميدان الشعر ، وبين هؤلاء وهؤلاء شعراء آخرون يتدرجون في المستوى الفني شأنهم في ذلك شأن المشتغلين في كل فن من الفنون .

ونؤمل ونحن نضع بعض الشعراء المبتدئين مع كبار الشعراء أن تكون هذه الخطوة حافزاً لهم ليستمروا في الإنتاج والإبداع حتى تسعد بهم الدعوة الإسلامية ويكونوا لها نعم النصير .

* * *

وقد يتساءل بعض عن شعراء لم ندرجهم في عملنا هذا ، وهؤلاء الشعراء يندرجون في فئات ثلاث :

الفئة الأولى : شعراء لم يتوافر فيهم الشرط الذي وضعناه لمن سنكتب عنه وإن كان لهم قصائد إسلامية تعتبر من عيون الشعر الإسلامي المعاصر، ونعتبرها كذلك .

الفئة الثانية : شعراء انطبقت عليهم شروطنا ولكننا لم نتمكن من الاتصال بهم أو اتصلنا بهم ولم نتلق ردودهم ، وهؤلاء نرجو أن يكتبوا لنا لنقوم بالكتابة عنهم في أجزاء تالية .

الفئة الثالثة : شعراء إسلاميون من الأقطار الإسلامية غير العربية من أمثال محمد إقبال وأكبر حسين ، وهؤلاء وأمثالهم نعتز بهم ونكبرهم ولكننا آثرنا أن نفردهم بجزء خاص بعد أن تتوافر لدينا معلومات كافية عن شعراء هذه الأقطار.

* * *

ونود أن نسجل هنا أننا لاحظنا في دراستنا هذه أن الشعر الإسلامي يفتقر إلى مجلة متخصصة تنشره وإلى مؤسسة إسلامية ترعاه وإلى ناشرين يؤثرون ما عند الله من أجر على الربح الوفير ، وإلى واحد من أثرياء المسلمين الكثر يخصص جزءاً بسيطاً من ماله لدعم الآداب الإسلامية عامة والشعر خاصة ، ذلك لأننا رأينا كل هذا متوافراً للآداب المنحرفة والشعر التافه الرديء بينما أحيط الشعر الإسلامي السامي بكل الحواجز حتى ينعدم تأثيره أو يكون هذا التأثير محدودا .

ونحن هنا نوجه الدعوة لكل قادر أن يساهم في تشجيع

الشعر الإسلامي وأن يعمل ما استطاع على طبعه ونشره سعياً وراء نهضة إسلامية مؤملة قريبة إن شاء الله .

* * *

وبعد ، نود أن نتقدم بالشكر والعرفان لأولئك الذين قدموا لنا كل مساعدة وعون في عملنا هذا ، أكان ذلك بإبداء المشورة أو بتوفير المواد ، كما نود التوجه بالشكر لكل الشعراء الذين استجابوا لدعوتنا وزودونا بإنتاجهم .

والشكر لله أولا وأخيراً على ما حبانا من نعمه ، ومن نعمه علينا أن وفقنا لإخراج هذا العمل إلى النور.

والحمد لله رب العالمين

المؤلفان

محمد محمود الزبيري

حياته :

ولد ونشأ في صنعاء ، العاصمة اليمنية العريقة ، وبها بدأ تعلمه وتأثر تأثراً شديداً بتعاليم الصوفية ونعم بها كما لم ينعم بشيء آخر ، ومال إلى الأدب عامة والشعر خاصة ، فدرسه حتى تمكن من نفسه ، فهام به أي هيام .

وقبل نشوب الحرب الكونية الثانية انتقل إلى مصر ليتم دراسته ، فالتحق بدار العلوم حصن اللغة العربية ، وقبل أن يتم دراسته فيها عاد إلى اليمن عام ١٩٤١ م وكانت الأوضاع فيها متردية ، استشرى فيها الفقر والمرض ، ولم يقم الحكام بواجبهم نحو مكافحة هذين البلاءين ، وزاد الأمر سوءاً انتشار الجهل وانتصار حكام اليمن له ؛ فأذهل هذا الوضع الزبيري فصرخ متألما :

ماذا دهى قحطان ؟ في لحظاتهم
بؤس ، وفي كلماتهم آلام[1]

---

(١) من قصيدة « صرخة إلى النائمين » ص ٦١ من ديوانه « صلاة في الجحيم » .

جهـــل وأمــراض وظلــم فــادح

ومخافة ومجـــاعــة و « إمــام » !

لقد اتسعت الشقة بين الشعب اليمني وحكامه ، وترصد كل منهما الآخر وكان لا بد للزبيري أن يسعى لإنقاذ شعبه مما هو فيه ، فسعى إلى إقناع الحكام بالسماح لهذا الشعب المسكين أن ينطلق من قيوده ، وقد بذل كل ما في وسعه لتحقيق الخير لبني وطنه ، فمدح الأئمة وأبناءهم ، وصانعهم ولاينهم ، ولكن بلا جدوى ، فقد تمكنت في نفوسهم عقيدة راسخة بأن هذا الشعب لا يحكم إلاّ بالحديد والنار.

ولما يئس من استجابة الحكام لدعوته للاصلاح ، ترك المصانعة وأعلنها عليهم حرباً ضروسا ، سلاحه فيها شعره المتفجر الملتهب ، فقد كان يعتقد بأن للقلم في مقاومة الطغيان فعل الحديد والنار ، وقد عبر عن هذا الاعتقاد نثراً وشعراً فمن ذلك قوله : « كنت أحس إحساساً أسطورياً بأني قادر بالأدب وحده على أن أقوض ألف عام من الفساد والظلم والطغيان »[1]

وفي نفس المعنى يقول شعرا :

قوضت بالقلــم الجبــــار مملكــــة

كانت بأقطــابها مشــدودة الطنــب[2]

وفي نفس العام الذي عاد فيه من القاهرة استقبلته سجون صنعاء والأهنوم وتعز ولما استطاع محبوه أن يخرجوه من

---

(١) قصتي مع الشعر ص ١٠ من ديوانه « ثورة الشعر » .

(٢) من مقطوعته « إعلان مروع » ص ٦ من ديوانه « صلاة في الجحيم » .

السجن لم يطق البقاء في اليمن – السجن الكبير كما دعاه – فارتحل إلى عدن سنة ١٩٤٤ م لعله يستطيع أن ينطلق منها لتحقيق الحرية لقومه ، فعمل على بث روح التضحية والثورة في الشعب اليمني عن طريق صحيفته التي أصدرها في عدن سنة ١٩٤٦ م باسم « صوت اليمن » واختاره اليمنيون المقيمون هناك رئيساً للاتحاد اليمني ، وأسلموا له راية الجهاد . .

تابع جهاده في عدن رغم مضايقات الإنجليز إلى أن قامت الثورة الأولى بقيادة عبد الله بن أحمد الوزير سنة ١٩٤٨ م ، قتل فيها الإمام يحيى حميد الدين وعدد من أولاده ، فهرع إلى اليمن وعين وزيراً للمعارف ، ولكن هذه الثورة لم تدم أكثر من شهر ، وعادت أسرة حميد الدين للحكم في شخص الإمام أحمد ابن الإمام المقتول .

وفرّ الزبيري ثانية ، ولكنه وجد الأبواب أمامه موصدة إلا باب الدولة الإسلامية الناشئة في باكستان فالتجأ اليها ، ولقي من شعبها المسلم كل تكريم فقابل هذا التكريم بمثله فتغنى بهذا الشعب الأبي ، وأنشد أجمل قصائده فيه وأذاع روائع شعره من إذاعة الدولة الناشئة .

وفي عام ١٩٥٢ م هرع إلى مصر عندما علم بقيام الثورة فيها ، واستبشر الزبيري خيراً بهذه الثورة عندما لاحت على بداياتها السمات الإسلامية ، فأمل في مساعدة قادتها لليمن ، وما كان يعلم آنذاك ما خبأته الأقدار لليمن على أيدي رجالات هذه الثورة .

قام أحمد يحيى الثلايا بثورته الإصلاحية في سنة ١٩٥٥ م والزبيري بمصر ولكن الثورة فشلت قبل أن يسهم فيها بشيء ، وعاد حكام اليمن أكثر قسوة وأشد تصميماً على منهجهم في الحكم ، واستمر الزبيري في مصر يدعو لإنصاف شعب اليمن عن طريق المقالات التي ينشرها في صحيفة « صوت اليمن » التي أعاد إصدارها في سنة ١٩٥٥ م وأخذ يشارك في جميع القضايا العربية والإسلامية بجهده وشعره .

ويئس بعض رفاقه في الكفاح ، وظل الأمل يحدوه ، وقامت ثورة ١٩٦٢ م بقيادة عبد الله السلال الذي استدعى الزبيري من القاهرة وسلمه وزارة التربية والتعليم ثم عين عضواً في أول مجلس لرئاسة الجمهورية ولكن الرياح لم تجر كما شاء لها شاعرنا وقدّر فانتكست الثورة بحرب أهلية مريرة لم يشهد تاريخ العرب لها مثيلا ، فترك الزبيري الوزارة وأفرغ جهده في إصلاح ما أفسده المفسدون ، فزار القبائل وعرض نفسه للقتل مرارا ، ودعا إلى الوفاق والصلح وحقن الدماء ، وحضر جميع المؤتمرات التي عقدت للصلح ، وكان رئيساً لمؤتمر عمران الذي أصدر قرارات الصلح والوفاق ولكن هذه القرارات جوبهت بالمماطلة في التطبيق ... وتوالت المؤتمرات في أركويت في السودان وفي خمر في اليمن ... وكان الزبيري فيها جميعاً داعية الوفاق والإصلاح .

لقد أدرك رحمه الله ، بعد كل ما بذل من جهد أن الدعوة الفردية لا تجدي ، وأنه لا بد من تنظيم يتبنى نظاماً مقبولاً

لدى الشعب اليمني بأسره يكون بديلا لكل هذه الدعوات التي أغرقته في بحار من الدماء ، ولم يكن الزبيري ليعدل بالإسلام نظاما ، فقد عاش حياته مؤمناً أن لا حياة للمسلمين إلا بالإسلام فسارع إلى إنشاء حزبه باسم « حزب الله » ، فالتفَّ حوله خيرة الرجال في اليمن ، وانطلقت دعوته تجوب آفاق اليمن فتلقى المجيبين والملا ين ، وبدأ حملة واسعة في أرجاء اليمن يخطب الجماهير داعياً إلى ماآمن به ، وانتهى به المطاف إلى جبال « برط » وبينما كان يلقي خطابه انطلقت رصاصات غادرة تخترق قلبه المؤمن ، فسقط شهيداً على تراب اليمن التي وهبها حياته كلها ، وفي هذا اليوم أول نيسان ١٩٦٥ م صمت الصوت الذي هز اليمن ، هز المخلصين فسارعوا إليه يلبون نداءه ، وهز الحاقدين والمنتفعين والمستعمرين فسارعوا إلى إفراغ حقدهم برصاصات استقرت في القلب الكبير. من قتل الزبيري ؟ ولماذا لم يلق القبض على القتلة ؟ ولماذا أهمل التحقيق في الحادث ؟ إجابات هذه الأسئلة ستبقى مطوية إلى أن يأتي الزمن الذي يكشفها ويكشف مثيلات لها في أرجاء الوطن الإسلامي الكبير.

آثاره :

أصدر شاعرنا ديوانين :

الأول : « ثورة الشعر » صدر عن دار الهنا للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م .

الثاني : « صلاة في الجحيم » صدر عن دار الهنا أيضاً

سنة ١٩٦٤ م

وما نشر في هذين الديوانين هو الجزء الأقل من شعره ، ولا زالت هناك مجموعات كبيرة من شعره تنتظر من يقوم بطبعها .

وصدر للشاعر الكتب السياسية التالية :

١ — دعوة الأحرار ووحدة الشعب
٢ — الإمامة وخطرها على وحدة اليمن
٣ — الخدعة الكبرى في السياسة العربية
٤ — مأساة واق الواق ، تحدث فيه عن مصير جلادي اليمن وعن مصير الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن اليمن وشعبه متبعاً أسلوب ، « رسالة الغفران » للمعري .

وله إلى جانب هذه المؤلفات مجموعات من مقالاته وبحوثه السياسية والأدبية تقع في عدة مجلدات . ولا يفوتنا هنا أن نسجل بأن جميع مؤلفات الزبيري والغالبية العظمى من شعره تدور حول مأساة الشعب اليمني الذي أفنى عمره في سبيل قضيته وسقط شهيداً وهو ينادي بحريته .

شعره :

الزبيري شاعر مطبوع ، تعشق الأدب منذ يفاعته ، وقال الشعر منذ صباه يمتاز شعره بالجزالة والحيوية وهو في نسجه أقرب ما يكون للقدامى لولا المعاني الحديثة التي يتناولها ، وقف شعره تقريباً لقضيته الكبرى ، حرية اليمن وسعادة

شعبه ، فقد هاله ما يعانيه اليمنيون من ظلم الحكام وفتك الأمراض وانتشار الفقر واستيلاء الجهل على الناس ، فحاول محاربة كل هذه الأوبئة بالكلمة ، بالأدب ، بالشعر وكان مؤمناً إيماناً لا يتزعزع بأنه قادر بها أن يخلص شعبه ويسعده .

ولم يخل شعره من الالتفات إلى قضايا الإسلام والمسلمين ، فالتفت إلى قضايا فلسطين وباكستان وكشمير... ودافع عنها وبين وجه الحق فيها ..... ولم يستطع شاعر عربي قبل الزبيري أن يصور بشعره الظلم والظالمين بمثل القوة التي صورهما بها ، وأن يرسم للطغاة صوراً تكشف حقيقتهم وتسخر من جبروتهم بمثل ما رسمها ، وقارىء دواوينه لا ينفك يطالع هذه الصور المعبرة واللقطات الحية ....

مختاراتنا من شعره :

راعينا في اختيارنا أن تكون هذه المختارات ممثلة لجوانب ثلاثة : حبه لليمن وسيطرة هذا الحب على نفسه ، واهتمامه بالقضايا الإسلامية ، وتصويره للطغيان .

١ — « الحنين إلى الوطن » ، وهي قصيدة تعبر تعبيراً عميقاً عن شدة حبه لوطنه وبني وطنه .
٢ — « محنة الإسلام » ، وهي قصيدة ألقاها ترحيباً بالدكتور عبد الوهاب عزام عند قدومه إلى الباكستان سفيراً لمصر، وفيها تصوير للحال الذي آل إليه

المسلمون ، ولم يضع الشاعر عنواناً لهذه القصيدة ، فوضعنا لها هذا العنوان الذي يناسب موضوعها العام .

وقد اخترنا من القصيده الجزء الذي تحدث فيه الشاعر عن محنة الإسلام .

٣ – « رثاء شعب » ، بدأ نظمها إثر مصرع الثورة اليمنية سنة ١٩٤٨ م ، يقول الشاعر عن ظروف نظم القصيدة ، نظمتها وأنا مطارد في الهند ، هارب من البشر محظور علي أن أمشي على ظهر الأرض ، اسمي مسجل في القائمة السوداء في مصر.

٤ – « عالم الإسلام » ألقاها في مؤتمر إسلامي حاشد في باكستان .

الحنين إلى الوطن[1]

ذكريات فاحت بريا الجِنان
فسبت خاطري وهزت جناني
عمر في دقيقة مستعاد
ودهور مطلة في ثواني
فكأن الماضي تأخر في النفس
.. أو استرجعت صداه الأماني
ما وجدنا وراءها غير غابات
.. وحوش من الدماء قواني
لم تهوم للنوم عين ولم تهدأ
.. لنا مهجة من الخفقان
ما يهب النسيم إلا وجدنا
طيهُ زفرة من الأوطان
تحمل الطل للرياض وتذكي
في الحشا لفحة من النيران
آه ويح الغريب ماذا يقاسي
من عذاب النوى وماذا يعاني
كُشفت لي في غربتي سوءة
.. الدنيا ولاحت هِناتها لعِياني

(١) ديوان « صلاة في الجحيم » ص ٨٨

كلما نلت لذة أنذرتني
فتلفت خيفة من زماني
وإذا رمت بسمة لاح مرآى
وطني فاستفزني ونهاني
ليس في الارض للغريب سوى ..
الدمع ولا في السماء غير الأماني

* * *

حطميني يا ريح ثم انثري أشلاء
.. روحي في جو تلك الجنان
وزعيني في كل حقل على الأزهار
.. بين القدود والأغصان
زفراتي طوفي سماء بلادي
وانهلي من شعاعها الريان
أطفئي لوعتي بها واغمسي روحي
.. فيها وبرّدي ألحاني
وصلي جيرتي وأهلي وأحبابي
.. وقصي عليهمو ما دهاني
وانثري في ثراهمو قبلاتي
واملئي رحب أفقهم من جناني
وسليهم ما تصنع الروضة الغنّا
.. وأدواحها الطوال الدواني

هل رثاني هزارها هل بكاني
وُرقها هل شجاه ما قد شجاني
ليت للروض مهجة فلعل الدهر
يُبكيه مثل ما أبكاني

* * *

طاردتني البلاد تستنبط الخالص
.. من منطقي ومن وجداني
ورمت بي كي تستريح لآهاتي
.. وألحاني العذاب الحسان
ليس تهوى مني سوى الصوت ..
يشجيها وإن كان فيه هدم كياني
يُقتني العود غالياً ثم لا يرجى
.. انتفاع منه بغير الدخان
فلئن لم أعد إليها فقد خلّدتُ
.. في سمعها شجيّ الأغاني

* * *

وطني أنت نفحة الله ما تبرح
لا عن قلبي ولا عن لساني
صنع الله منك طينة قلبي
وبرى من شذاك روح بياني

هاك ما قد طهرته لك في دمعـي
وما قـد صهرته في جَنـــــــــــاني
شعلـة القلـب لو أُذيعت لقـالـــوا :
مـر عـبر الأثـير نصـــل يمـــاني

* * *

* * * * *

* *

محنة الإسلام[1]

عزام ، يا من روحه شعلة
تكشف للشرق دجى خطبه
ياهبة النيل ، إلى أمة
تهيم في النيل ، وفي شعبه
انظر إلى الإسلام ما باله
أجمعت الدنيا على حربه
قاطعه ، حتى حواريُّه
وأجفلوا عنه ، وعن قربه
علام هذا الخوف من نوره
وفيم هذا الضيق من رحبه
وكيف نخشاه على أُمَّة
من روحه صيغت ، ومن كسبه
سادت على الدنيا بسلطانه
وراعت الأعداء من غضبه
وجاء عهد جاهل ما انطوى
من مجده الماضي ، ومن غيبه

(١) صلاة في الجحيم ص ١١٨

يأخذ عن أعدائه رأيه
في سعيه الأعمى ، وفي دربه
ويقبل الزعم بأن الدواء
في كفه يفضي إلى نحبه
يخجل من روح ، به أعْرَقَت
كأنما يخجل من ذنبه

* * *

وانظر إلى الأوطان منكوبة
تخبط في الليل ، وفي رعبه
في كل أرض وطن موثق
يعيش في القيد ، وفي كربه
قد عقه الخارج من صلبه
وخانه النابت من تربه
قسوا عليه ، وهم أهله
في محنة الدهر وفي خطبه
قد شاركوا الطاعم من لحمه
وساعدوا الغاصب في غصبه
يرتزق الخائن من بيعه
يسعى مع الساعي إلى صلبه
ألسنة تهذى لتضليله
وأنمل تمتد في سلبه

يعطونه في خطبه أدمعا
تزيد في الخطب وفي جلبه
ما فعل الإسلام في شرقه
من أجل كشمير، وفي غربه
يستنجد الجرح بنا صارخا
فنمسك الأيدي عن رأبه
فما هو الإسلام ما شأنه
وما انسياق الناس في ركبه
إن كان لفظاً خاويا زائفا
فلنجمع الأمر على شطبه
أو كان شراً فلنندِّد به
ولنطلع الدنيا على ثلبه
أوكان جبنا أن يرانا الورى
من ذادة الدين ومن حزبه
فها هي اليابان ما بالها
لم تقتف الغرب ولم تشبه
أليس يرضي الغرب منا سوى
أن ننزع الأرواح في حبه
أليس يكفيه، بأنا نُرى
في قيده العاتي، وفي ثوبه

* * *

عـزام ، هـذي زفـرة أطلقــت
من لهـب الروح ومن ذوبـه

ثـارت عـلى صمتي ، وضاقـت بـه
وفجـرت دمعـي ، مـن غربـه

في موكـب اللقيا يـذيـع الهـوى
ويخـرج المستـور مـن حُجبـه

ويـذهـل العاشـق عـن عقلـه
ويكشـف الهيمـان عـن قلبـه

* * *

رثاء شعب[1]

ما كنت أحسب أني سوف أبكيه
وأن شعري إلى الدنيا سينعيه
وأنني سوف أبقى بعد نكبته
حياً أمزق روحي في مراثيه
وأن من كنت أرجوهم لنجدته
يوم الكريهة كانوا من أعاديه
ألقى بأبطاله في شر مهلكة
لأنهم حققوا أغلى أمانيه
قد عاش دهراً طويلا في دياجره
حتى انمحى كل نور في مآقيه
فصار لا الليل يؤذيه بظلمته
ولا الصباح إذا ما لاح يهديه

* * *

فان سلمت فاني قد وهبت له
خلاصة العمر ماضيه ، وآتيه
وكنت أحرص لو أني أموت له
وحدي فداءً ويبقى كل أهليه

(١) صلاة في الجحيم ص ١٣٣

لكنه أجل يأتي لموعده
ما كل من يتمناه ملاقيه
وليس لي بعده عمر وإن بقيت ....
أنفاس روحي تُفدِّيه ، وترثيه
فلست أسكن إلا في مقابره
ولست أقتات إلا من مآسيه
وما أنا فيه إلا زفرة بقيت
تهيم بين رفات من بواقيه

* * *

إذا وقفت جثا دهري بكلكله
فوقي وجرّت بيافوخي دواهيه
وإن مشيت به ألقت غياهبه
على طريقي شباكاً من أفاعيه
تكتلت قوة الدنيا بأجمعها
في طعنة مزقت صدري وما فيه

* * *

أنكبة ما أعاني أم رؤى حلم
سهت فأبقته في روحي دواهيه
أعوامنا في النضال المرّجاثية
تبكي النضال ، وتبكي خطب أهليه

بالأمس كانت على الطغيان شامخة
تجلوه عاراً على الدنيا وتخزيــــــه

وارتــاع منها طغاة ما لها صلــــــة
بهم ، ولا كان فيهــم مــن تناويــــه

لـكنهم أنسوها شعلــة كشفــــــت
من كــان عريان منهم في مخازيــــه

فأجمعوا أمرهــم للغدر ، وانتدبـوا
لـكيدنا كـل مأجور ، ومشبــــوه

واستكلبت ضدنا آلاف ألسنــــة
تسومنا كـل تجريـح ، وتشويــــه

من كل مرتزق لو نال رشوتنــــا
أنا لنـا كـل تبجيل ، وتنويــــــه

وكل طاغيــة لو ترتضي معــــــه
خيانــة الشعب جاءتنا تهانيـــــــه

وكـل أعمى أردنــا أن نـرد لــــه
عينيه ، فانفجــرت فينـا لياليـه !

وكل بوق أصم الحسّ لـو نبحــت
فيه الكلاب لزكــاهــا مزكيـــــــه

وألّبوا الشعب ضــد الشعب واندرأوا
عليــه من كـل تضليل وتمويـــــه

* * *

يا شعبنـا نصف قرن في عبادتهـــم
لم يقبلـوا منك قربانا تؤديـــــه

رضيتهم أنت أربابا وعشت لهـــم
تنيلهـم كـل تقديس ، وتأليـــــه

لم ترتفع مـن حضيض الرق مرتبــة
ولم تـذق راحـة ممـا تقاسيـــــه

ولا استطاعــت دموع منـك طائلـة
تطهير طاغيـة مـن سكـرة التيـــه

ولا أصخت إلينا معشراً وقفــــوا
حياتهــم لـك في نصـح وتوجيـــه

نبـني لـك الشرف العالي فتهدمــه
ونسحق الصنم الطاغـــي فتبنيـــه

نقضي عـلى خصمك الأفعى فتبعثـه
حيـا ونشعـل مصباحـا فتطفيــــه

قضيت عمرك ملدوغـا ، وهأنـــذا
أرى بحضنك ثعبانـا تربيـــــه

تشكولـه ما تـلاقي وهـو منبعـــث
الشكوى وأصـل البـلا فيما تلاقيـه

أحـلى أمانيه في الدنيا دمـوعك تجـ
ـريها ورأسـك تحت النير تحنيـه

وجرحك الفاغـر الملسوع يحقنـــه
سماً ، ويعطيه طبـا لا يداويــــه

فلا تضع عُمُر الأجيال في ضعة
الشكوى فيكفيك ماضيه ، ويكفيه
فما صراخك في الأبواب يعطفه
ولا سجودك في الأعتاب يرضيه
لا عنقك الراكع المذبوح يشبعه
بطشا ، ولا دمك المسفوح يرويه
فامدد يديك إلى الأحرار متخذاً
منهم ملاذك من رق تعانيه
ماتوا لأجلك ثم انبتّ من دمهم
جيل تؤججه الذكرى ، وتذكيه
يعيش في النكبة الكبرى ويجعلها
درساً إلى مقبل الأجيال يمليه
لا يقبل الأرض لو تعطى له ثمنا
عن نهجه في نضال ، أو مباديه
قد كان يخلبه لفظ يفوه به
طاغ ، ويخدعه وعد ، ويغويه
وكان يعجبه لص يجود له
بلقمة سلها بالأمس من فيه
وكان يحتسب التمساح راهبه
القديس من طول دمع كان يجريه
وكان يبذل دنياه لحاكمه
لأنه كان بالأخرى يمنيه

وكـان يرتاع مـن سوط يلـوح لـه
ظنـا بأن سلام الـرق ينجيـه
واليوم قد شب عن طوق ، وأنضجه
دم ، وهزتـه في عنف معانيـه
رأى الطغاة بأن الخوف يقتلـه
وفاتهـم أن عنف الحقـد يحييـه

* * *

قالـوا انتهى الشعب إنـا سوف نقذفه
إلى جهنم تمحـوه ، وتلغيـه
فلينطفىء كل ومـضٍ من مشاعـره
ولينسحـق كل نبـض مـن أمانيـه
وليختنق صوتـه في ضجة اللهب ...
الأعمى وتحترق الأنفاس في فيـه
لنشرب المـاء دمًّـا من مذابحـه
ولنحتسي الخمـر دمعـاً من مآقيـه
ولنفـرح الفرحة الكبرى بمأتمـه
ولنضحـك اليوم هزءاً مـن بواكيـه
ولنمتلك كـل ما قد كـان يملكـه
فنحـن أولى بـه مـن كل أهليـه
ولينسـه الناس حتى لا يقـول فـم
في الأرض ذلك شعب مـات نرثيـه

* * *

ويح الخيانات من خانت ، ومن قتلت ؟
عربيدها الفظ يرديها وترديه
الشعب أعظم بطشاً يوم صحوته
من قاتليه ، وأدهى من دواهيه
يغفو لكي تخدع الطغيانَ غفوتُه
وكي يجن جنوناً من مخازيه
وكي يسير حثيثاً صوب مصرعه
وكي يخرّ وشيكاً في مهاويه

* * *

علت بروحي هموم الشعب وارتفعت
بها إلى فوق ما قد كنت أبغيه
وخولتني الملايين التي قتلت
حق القصاص على الجلاد أمضيه
عندي لشر طغاة الأرض محكمة
شعري بها شر قاض في تقاضيه
أدعو لها كل جبار ، وأسحبه
من عرشه تحت عبء من مساويه
يحني لي الصنم المعبود هامته
إذا رفعت له صوتي أناديه
أقصى أمانيه مني أن أجنبه
حكمي ، وأدفنه في قبر ماضيه

وشر هول يلاقيه ، ويسمعــــــــــه
صوت الملايين في شعري تناجيـــــه

وأن يرى في يــدي التاريــخ أنقلـــه
بكــل مـا فيه للدنيا وأرويـــــــــه

يرى الذي قــد تُوفــي حلـم قافيـــة
مــني فيمعــن رعباً في توفيــــــــه

وليـس يعرف أني سوف ألحقـــــه
في قــبره ازداد موتا ، أو مرائيـــه

أذيقـه المــوت من شعر أسجــــره
أشد مــن موت عزريــل قوافيــــه

مــوت تجمع من حقــد الشعــوب
عــلى الطغيان فازداد هولا في معانيــه

يؤزه في اللظى غمزي ،ويذهلـــه
عن الجحيم ، ومـا فيه ، ومن فيه

* * *

سأنبش الآه من تحت الثرى حُمماً
قــد أنضجتــه قرون مــن تلظيــــه

وأجمع الدمع طوفاناً أزيــل بــــه
حكــم الشرور من الدنيـا وأنفيـــه

أحارب الظلم مهمـا كان طابعـه الـ
ـبرّاق أو كيفما كانــت أساميه

جبين جنكيز تحت السوط أجلـــده
ولحم نيرون بالسفود أشـــويـــــه
سيان من جاء باسم الشعـب يظلمـــه
أو جاء من « لندن » بالبغـي يبغيـــه
« حجاج حَجَّة » باسم الشعب أطرده
وعنق « جنبول » باسم الشعب ألويـه

* * *

عالم الإسلام (١)

هـذه روحـه وهـذي جنــــوده
فليحـاذر من بشرٍ يريـــــده
نام نـوم الموتى فظنـوه ميتـــاً
وازدهاهـم هجوعـه وهمـوده
مـلّ منـه الـكرى وضاقت بـه الأر
ض وضجـت قبـوره ولحـوده
شدقـه مصرع الوحـوش فـاذا
صار فيـه حتى عـلاه صديـده
صوتـه ينشر المنيـه في الغـاب فنصطـاد فيـه ما لا يصيـده
أيـن ذاك السعـير اي تلـوج
طمرتـه وأي بـرد يسـوده
كيـف هـان الهزبـر في حـرم الفيـل وسادت ضباعـه وقـروده
شد ما استنسر البغاث بقـبر النسر وأستـأسدت على الليث دوده

* * *

وطئوا أرض غابـه فإذا بالغـاب وسنى هضابـه ووهـوده
نزعوا شوكه ولـكـن قاع الغـاب شـوك ترابـه وصعيـده
لم تحمـل حلـو الثمـار مجانيـة
ولم يشد بالهـوى غريـده

---

(١) المسلمون السنة الأولى العدد (٨) ص ٩٢ — ٩٥ .

خلف نوح الطيور في مرجه الموتور منهم زئيره وأسوده
ورأوه في غيله هامد الجثمان كالموت صمته وركوده
فلم أعجبوا به إذ توفى
نفسه جهله بها وجحوده
ليس يدري ما يحمل المخلب الجبار في كفه وماذا يجيده
وغدوا يسألون أنفسهم عنه كما يسأل الدجى عربيده
أين معنى الحياة فيه وأين الروح في نبضه وأين وجوده
إنه جثة فلا سلخه إثم ولا سحقه ولا تبديده
ومضوا يسلخونه فإذا
بالليث يصحو لهيبه ووقوده
وإذا شعلة تمخض عنها
قبره وابتنى لظاها جليده
وإذا بالصريع ينجو وبالنار عليه يشوى بها نمروده
وإذا عالم من البأس والإقدام يستقبل الحياة وليده

* * *

يا ضيوف الإسلام في شعب باكستان حق عليكم تأييده
أنتم ذخره وأنتم أمانيه الغوالي وشدوه ونشيده
في يديه حق فلا تخذلوا الحق وأنتم حماته ووجوده
أمره أمركم لكم منه ما كان سواء نحوسه أو سعوده
فاحذروا أن تحايدوا إن هذا الشعب منكم يكيدكم من يكيده

* * *

أرض كشمير أرضه والثرى الطاهر فيها آباؤه وجدوده
صنعوا من دمائهم ذلك الوادي فمنها أفوافه وبروده
ليس يخلو من عرفهم في ثرى كشمير لا ورده ولا عنقوده
لو تقام الفتوى لأيد باكستان حتى أوثانه وهنوده
سند المسلمين فيه الضحايا
وشهود العدو فيه نقوده
ما رأينا الأوطان تشرى بمال
إنما يملك التراب شهيده

* * *

وفلسطين ذلك الوطن الغالي
أحقاً قد اضمحل وجوده
قطعوا شلوه وقالوا مصاب فادح ينبغي لنا تضميده
كلما أوجسوا من الشعب خوفاً
سلموا أمره إلى من يبيده
أمن العدل أن يقر ويستبقى على الغصب كل لص يجيده
يطرد الشعب من حماه ويستاق إليه من كل شعب طريده
لم يدمر حمى قوانين هذا العصر إلا نقوده ويهوده
سوف يحيا برغمهم مرة أخرى
وإن طال نومه وركوده
سوف يبني الشعب الجديد ضحاياه
وتستنبت الحياة لحوده

نحـن نبغي الفـدا فما حجـة الباغـي علينا ، ما وعده ما وعيده
لـو رأى أنفـس الشعوب الأسـارى
لاقشعـرت سجـونه وقيـوده

* * *

ولـدى المغرب القصي لنـا شعـب قريـب وإن تناءت حـدوده
كـلمـا زاده العـدو وأقصـاه
تدانـا إلى هـوانا بعيـده
لم يزل غـاب طـارق ينجـز الأسـد ويستنبـت المخالـب عوده
وظـلال ابـن نافع لم تـزل في البحـر تروي تاريخـه وتعيـده
طبعـت في المحيـط صورة ليـث
يقهـر البحـر إسمـه وخلـوده
يجعـل الموج كـلمـا مس ظل السيـف عرنينـه ويعنـو مريـده

* * *

ولنعـد بالذكرى إلى أندونيسـا
شعبنـا المسلـم البهـا ليـل صيـده
كـافح النـار والجديـد ولم يضعـف عـلى الهول عزمـه وجهوده
كـم أرادوه أن يقـر عـلى الضيـم
فتأبـى أبطالـه وأسـوده

* * *

وإلى مصر يزدهيني هوى الشعر فأنهى خياله وأذوده
إنها مصر .. نيلها العذب شعر الله في الأرض لا يجاري قصيده
وحقوق الوادي ستملي على البغي وإن طال منعه وصدوده
يا وفود الإسلام تاريخكم ضخم ولكن هل فيكم من يعيده ؟ !
ألف عام مرت عليه ألا يكفيه فيها هجوعه وهموده
يوم أسلافكم يرى يومكم هذا كما ينظر الوليد جدوده
مجد ماضيكم بأعراقكم يثوي ويهفو إلى الوثوب قعيده
ذاهلاً كيف تبحثون عن المجد وفيكم طريفه وتليده
قد جعلتم لمد تياره حداً فأنتم قيوده وسدوده
فأطلت كما يطل ضحايا السجن منكم عصوره وعهوده
ورنت من نوافذ الزمن الخالي إليكم عيونه وشهوده

* * *

أنتم عالم من المغرب الأقصى إلى الشرق خافقات بنوده
عالم واحد وإن زعمته
ألف شعب ثغوره وحدوده
عالم مسلم عنيد فلا تهنيده ممكن ولا تهويده
سوف يبقى حقيقة تملأ الأرض ويفنى عدوه وحسوده

احمد محمد صديق

حياته :

بين أشجار اللوز والزيتون ، وعلى مقربة من عكا قاهرة نابليون تقع شفاعمرو ، في شفاعمرو تجاور المسلمون والمسيحيون والدروز ... ثم من بعدُ أحاط بكل هؤلاء اليهود فأنزلوهم على حكمهم وساسوهم برأيهم ...

في هذا الجو ، وفي هذه البيئة ولد أحمد محمد إبراهيم الصديق عام ١٩٤١ م ، والحرب الكونية الثانية تحرق بنارها العالم ، وفلسطين تعج بالقوات الإنجليزية المحتلة ، والمسلمون الفلسطينيون يتربصون بهم الدوائر ويتمنون أن تحيق بهم الهزيمة لعلهم يتخلصون من ويلاتهم ويطوون إلى الأبد صفحة اليهودية التي فتحها الإنجليز في فلسطين وخطّوا سطورها الأولى بالظلم والعدوان .

لم تتحقق الأمانيّ ، ورسخت أقدام الشر في فلسطين ، وبدأت تتدفق عليها وجوه غريبة ما عرفتها أرضها وما شامتها سماؤها ، لفظتها الأمم ، وكرهت وجودها على أرضها ،

فألقتها على أرض فلسطين كي تتخلص من أوضارها ودنسها !

وتململ أهل البلاد ، وضاقوا بالقادمين الدّخلاء ، ونادوا بكل وسيلة أمكنتهم منها أوضاعهم بأنهم يرفضون هذا البلاء النازل ، وأنهم لا يعترفون بحق لليهود في بلادهم ، ولا يقرون للإنجليز بأن يتصرفوا في بلادهم برأيهم ودون مشورتهم !

احتجوا ، وثاروا ، واستشهدوا ... ولم يكن في مقدورهم أكثر من هذا ... وما وجدوا لهم نصيرا ... فقد عز النصير !

لم تكد أقدام فتانا الشاعر تطأ المدرسة الإبتدائية في شفاعمرو حتى اكتملت خيوط المؤامرة وتم نسيجها ، وقامت لليهود دولة ، وحل في معظم أجزاء فلسطين يهود دخلاء مكان المسلمين الأصلاء ، وتدفقت أمواج من التائهين الهاربين اللاجئين إلى البلاد العربية المجاورة ...

وتشبث معظم آل الصديق بمساكنهم ، وآثروا المغامرة بالبقاء تحت حكم اليهود مع من آثر التمسك بالأرض ... ، فانقطع ما بين هؤلاء وإخوانهم الذين هاجروا ، وانبت ما بينهم وبين كافة المسلمين من صلات ، بسبب ما فُرض عليهم من قيود ، ومن أوضاع جائرة ظالمة .

ومرت ثمان سنين ، وأحمد في مدرسة القرية مع زملائه يدرسون المناهج اليهودية ، فما استطاعت أن تنسيهم وطنهم وإخوانهم ، فالآباء لا يزالون يقصّون على أبنائهم حوادث الوطن ، والإذاعات العربية لا زالت تبث فيهم

الحمية وتبعث فيهم روح الأمل ...

وتكونت في المدرسة جماعات تتحدث عن حقوقهم في الأرض ، وعن آمالهم في طرد الغاصبين ، وتسللت إلى هذه الجماعات أفكار اليسار ، وقد ساعد على انتشارها بين شباب الشفا هذه البيئة المختلفة العجيبة ، وتلك الأنباء التي وردت تزعم مساعدة اليسار الشيوعي للبلاد العربية في سعيهم لطرد اليهود من فلسطين ، وساعد عليها أكثر ما ساعد سكوت اليهود على من يعتنق هذه الأفكار بل مساعدتهم من طرف خفي على انتشارها .

وبعد الإبتدائية توجه فتانا إلى حيفا فدرس فيها سنتين ، ثم انتقل إلى كفر ياسيف فدرس في مدرستها سنة واحدة ، واتصل خلال هذه السنوات الثلاث بمجموعة من شباب فلسطين أذكت فيه روح الحمية للوطن السليب .

وتفجرت في فتانا الموهبة الشعرية مبكرة ، وساعد على نموها السريع هذه الأحداث التي بدأت تتلاحق ، وهذا الأمل الذي بدأ ينمو ويسرف في النمو ، يساعده في ذلك الخطب العربية الحماسية والأناشيد التي ملأت الكون عن دنوّ الخلاص من هذا الكابوس المخيف .

ووقعت الحرب عام ١٩٥٦ م وانتهت إلى ما انتهت إليه ، وبقي من في فلسطين على أملهم ، وإن تأجل إلى حين ، ولم يطق الفتى الذي يلتهب حماسا وثورة البقاء في شفا عمرو ،

فحزم أمره على الخروج ، وانطلق في ظلام الليل يشق طريقه بين السهول والجبال إلى أن انتهى إلى الحدود اللبنانية ، وهناك استقبلته سجون لبنان ، ولكنه كان فرحاً بها ، مغتبطاً لأنه تخلص من حكم اليهود ، وهو في ظنه قد نال الآن حريته وإن كان في غيهب السجن ، وهو الآن قد وجد نفسه وإن حبس بين القضبان جسده ... وساعدت ظروف الحرب آنذاك على خروجه من السجن ...

وشاء له الله أن يلتحق بالمعهد الديني في قطر حيث التقى بخيرة الأساتذة والعلماء فيه ، وكان لهم تأثيرهم عليه ، وقد أحاطوه بالرعاية وتعهدوه بالتوجيه .

وفي المعهد الديني انطلق الشاعر يمس القضايا الإسلامية ويشارك في مناسباتها ، وبدأت المجلات تهتم بشعره ، فنشرت له مجلة الحق القطرية ومجلتا المجتمع والوعي الإسلامي الكويتيتان ، ومجلة البعث الإسلامي في الهند ومجلة الشهاب اللبنانية ، وشهدته الندوات الشعرية التي أُقيمت في الدوحة شاعراً محلقاً مجليا ...

ومن المعهد الديني انتقل إلى السودان ، وفي جامعة أم درمان الإسلامية درس الشريعة ونال شهادة الليسانس عام ١٩٧٠ م ، وكان له في السودان نشاط شعري كبير في الاحتفالات والندوات وفي الصحف والمجلات ، وأشهر المجلات التي نشرت له مجلة الميثاق الإسلامي .

وأعجب شاعرنا بالسودان وأهله ، أعجب بإخلاصهم وودّهم ، كما أعجب بإيمانهم وتمسكهم بدينهم ، وحبهم لهذا الدين وتضحيتهم في سبيله ، لقد فتنته الحياة السودانية البسيطة ، وأعجب بالأسرة السودانية المتوادة المتراحمة ، فتزوج هناك ، وأنس بهذا الزواج الذي أعطاه بعض السكينة والاستقرار بعد أن فقدهما من زمن طويل ...

وعاد شاعرنا إلى قطر ليعمل فيها مدرسا ، وتابع تحصيله العلمي في الأزهر الشريف فحصل على الماجستير في الشريعة الإسلامية ، كما حصل من جامعة قطر على الدبلوم العام في التربية ، وهو مع عمله هذا وانغماسه فيه لم ينس شاعريته وجماليته ، فهما جزء من نفسه ، فتابع بشعره قضايا دينه وأمته ووطنه ، ولا يزال عطاؤه الثَّرُّ يطالعنا حيناً بعد حين ...

ويكتب الأستاذ أحمد القصة القصيرة ، وقد نشرت له بعض الأقاصيص في المجلات الإسلامية ، وإن كان طابع الشعر هو الغالب عليه المستأثر به .

إنتاجه :

لشاعرنا ديوان طبع حديثاً (١٩٧٧ م) بعنوان « نداء الحق » قامت بطبعه مطابع الدوحة الحديثة في دولة قطر ، وفيه أربع وسبعون قصيدة ، ويقع الديوان في مائتين وتسعين صفحة من القطع الكبير .

شعره :

الأسلوب الذي ينظم به شاعرنا سهل يصل إلى القارىء فيمتزج بعقله وقلبه ، واضح العبارات ، نافذ الكلمات ، يؤدي المراد بلغة شعرية محلقة تتنزل على القلوب فتخالط شغافها ، وتمتزج بالروح فتسمو بها ، لا يتكلف شاعرنا كلمة ، ولا يزاحم المعاني ، بل يتناولها بعفوية وصدق فتشرق أبياته مفصحة عن مشاعر السامعين فيشعرون وكأنهم هم الذين دبجوا هذا الشعر ونظموه .

وقد امتاز شاعرنا بعقيدة سليمة نقية ظهرت آثارها على شعره ، فنال هذا الشعر القبول الحسن في الأوساط الإسلامية ، فوجدنا جمعية الإصلاح الإجتماعي بالكويت تصدر كتاباً بعنوان « من الشعر الإسلامي » وتضمنه خمس قصائد من شعره ، وقد قرظ شعر الشاعر في مقدمتين لديوانه المطبوع شخصيتان لهما وزنهما في ميدان العمل الإسلامي هما فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري مدير الشئون الدينية في قطر ، وفضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة قطر .

وموضوعات شاعرنا موضوعات حية جادة ، تناول فيها قضايا دينه وأمته ووطنه ، وكل ما يتصل بها أو يؤثر فيها ، واستطاع الأُستاذ الصديق أن ينقل لنا صوراً حية ، وأن يؤدي فكراً سليمة ، وأن يصل ماضينا بحاضرنا وأن يطل منهما على مستقبل يؤمل أن يكون عظيما ...

يؤكد شاعرنا أن ضياع فلسطين كان يوم أن ضيعنا ديننا وفرطنا بعقيدتنا وتهنا بين مبادىء الشرق والغرب ...

فلسطين ضاعت يوم ضاعت عقيدة
وبات فساد الحال أقبح مُقتنى
أيُجحد دين أورث العرب سؤدداً
ويُنقض ما شاد النبي وما بنى ؟
ليرضى علينا الغرب حيناً ويحتفي
بنا الشرق أحيانا .. ونفقد ذاتنا
وما زادنا هذا التذبذب عزة
ولكن حصدنا دونه الشوك والعنا

وأحاط بأبناء فلسطين ظلم وظلمات من عدو غاشم وقريب ظالم ، وتكاثرت عليه الحراب حتى جرح الجرح وتألم الألم !

ما انهد ركن المنى إلاّ بمهزلة
أبواقها لم تزل تطغى فتغوينا
وأقبل الليل أشباحاً مروعة
تمزق الشمل تشتيتاً وتوهينا
وأطفأ الظلم في المنفى مواقدنا
وامتد كابوسه غولا وتنينا
حسب الأعادي فما للأقربين عتوا ؟
يا جيرة الحي جرح الخصم يكفينا

ويعجب شاعرنا من اعتمادنا على عدونا في طلب الحقوق ، ويسخر من هذا الموقف سخرية لاذعة فيقول :

لا يرجع الحق السليب بهيئة
دولية يلهو بها الدولار
أو مجلس نسبوه للأمن الذي
هو لعبة في شرعهم وقمار
أرعاة أبقار وساسة عالم
وهل الخلائق كلها أبقار ؟ !

وقد نقل لنا شاعرنا صوراً من الفوضى التي دبت في بلاد الإسلام ، وصوراً من الانحرافات والخيانات ، وصوراً من المآسي التي حلت بالبلاد ننقل منها هنا صورتين ، صورة لقضية السلاح الفاسد الذي قاتل به جنودنا في فلسطين :

ويخرّ جندي على الأنقاض والهفي عليه
غدرت قذيفته فعادت عندما انطلقت إليه !

وصورة بارعة مؤثرة لحريق المسجد الأقصى :

الثريات نجوم تتهاوى ... وعيون تحترق
والشبابيك شفاه تتلظى ... وضلوع تصطفق
والسجاجيد التي ترعش خوفاً والتياعا
عانقت أحجار سقف يتداعى
وزهور الفن تذوي والزخارف
والصدى المحبوس في قلب المصاحف
من خلال الردم يعلو
يتفجر

كل هذه المآسي لم تفقد شاعرنا المؤمن أمله ، فهو على

ثقة بالمستقبل ، وعلى أمل لا يخبو :

سيرحل الليــل ، لـن يبقـى له أثـــر

إلا صدىً مـرّ في التاريخ كـالحلم !

وبعد ، لا يمل القارىء لديوان الشاعر ولو أعاد القراءة مرات ومرات ، ذلك لأن هذا الشعر لا يزيده الردّ إلا متعة وروعة وجلالاً .

مختاراتنا من شعره :

١ — « مجمع القرود » ، قصيدة حوارية بين فيها الشاعر أعداء الإسلام ، وفند آراءهم ، وبين موقف الدعاة المسلمين من كل هؤلاء ، كما بين الظلم الواقع عليهم والمتمثل بالإرهاب الفكري والجسدي بحجب أصواتهم عن كل وسائل الاعلام وإلقائهم في ظلمات السجون .

٢ — أ — « عينان » ، وهي ترجمة شعرية رائعة لحديث الرسول (ﷺ) : عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله .

ب « دعوة المظلوم » ، وهي أيضاً ترجمة شعرية رائعة للحديث الشريف : (... ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول : وعزّتي لأنصرنك ولو بعد حين) .

٣ — « فقراء إلى الله » ، وهذه القصيدة تمثل شاعرنا في جانبه الإيماني العميق .

مجمع القرود [1]

(جماعة من المنافقين والجهلة والدجالين .. يلتقون في مكان ما ، حيث ينتهي إليهم صوت داعية مسلم ، يدعو إلى الله ، فيثير غيظهم وأحقادهم ، وتدور بينهم أحاديث) .

صوت الداعية المسلم :

أيها الناس أجيبوا دعوة الحق المبين
إنها دعوة إيمان برب العالمين
تملأ القلب فتذكي فيه أنوار اليقين
شرعت ما يسعد الإنسان في دنيا ودين
أطلقت فيه قوى الخير وروح الطامحين
ثم كانت خير ظل آمن للمتعبين
لم تبح للمرء أن يشبع بين الجائعين
لا .. ولا أن يغمط الحق كدأب الظالمين
هي شرع الله ـ جل الله ـ والحبل المتين
لم تنزّل أيها الناس لقوم غافلين
إنها تشحذ عزم الأقوياء العاملين
وتضيء العقل بالحكمة والرأي الرزين
وتشيع العدل والأخلاق والعيش المكين
أين منها نحن ؟ أين المؤمن البر الأمين ؟ !

(١) ديوانه « نداء الحق » ص (٩٦) .

شعبنـا ما زال في الأصفـاد عبـداً مستكـين
نبئـوني .. هل خلعتم ربقة الذل المشين ؟ !
هل تواصيتـم بحق الله في المستضعفـين ؟ !
الرضـا بالذل كفـر .. فاطرحوا النير اللعين
ارجعـوا للّـه .. للحق .. وكونوا مسلمـين
طهـروها تلكـم الأنفـس مـن عـار السنـين
حرروهـا مـن قيـود الجهـل والضعـف المهـين
انصـروا الله جنـوداً .. ودعـاة مـؤمنـين
يمحـق الله بأيديكـم شـرور المعتـدين
ثم يعلـو بالهدى منكـم على النجـم الجبـين
وثمـار المجـد يحلـو جنيهـا للصابـرين
والاهازيـج نشيـد رائـع للفاتحـين

(وهنا يلتفت أحدهم إلى قرنائه قائلاً)

ـ قوله ينبض بالصدق .. ألا مـا أروعـه !
هـل تراه قال حقـاً ؟ أم تـراه إمعـه ؟
قال ما قال سواه
(يضيف آخر) : ـ دعه .. لا .. لن نسمعه ..
أي محروم تـراه قابعـاً في صومعـة !
لم يعاقـر مثلنـا كأس الحيـاة المترعـة
ليلـة نلهـو بهـا أفضـل مـن عمر معـه !
(يضحك الآخرون ، ثم يعلق أحدهم) :
ـ ذاك يا صـاح يريد العيـش في عهـد الجمـال

يتبع النوق ويجري حافياً فوق الرمال
(بتهكم) :
محدثات العصر؟ يأباها ! فليست بالحلال .. !
يا لها رجعية حمقاء .. أفيونا .. خبال
أنت لا تعقل إن صدقت قولاً في الخيال
(آخر) :
ـ تارة يدعو إلى الزهد .. وطوراً للجهادْ
ليس يدري أنه ينفخ دوماً في رماد
أغلقوا أسماعكم ثم اصرفوا عنه الفؤاد
واجعلوا الصيحة منه نأمة ضاعت بواد
(آخر) :
ـ كم يوالي ذلك « المخدوع » تكريس الجهودْ
يستميل الناس كالساحر .. يبغي أن يسود
أنا في قلبيَ يغلي مرجل الغيظ الحقود
قم بنا نحمل عليه ..
(آخر بشماتة : ـ دعه .. قد جاء الجنود
ها همُ قد أسروه .. أوثقوه بالقيود
إنه أهل لأن يقتل شنقاً يا جنود ..
ليتهم يشفون غلّي .. إنه خصم عنيد
(يقبضه شرطيان بعنف ومعهما آخرون .. يقول أحدهم) :
ـ أنت لن تسكت إلا خلف قضبان الحديد
إن غير القمع والتنكيل فيكم لا يفيد

(الداعية المسلم ينفجر في وجه أفراد الشرطة)

ـ أخنقوني .. كمموا صوتي .. فصوتي لن يضيعْ
أطفئوا الشمس .. احجبوها .. مرغوا وجه الربيع
املأوا الأرض سجوناً .. واصبغوها بالنجيع
إن ليل الظلم لن يصمد .. لا .. لن يستطيع
فشعاع الحق أقوى ..

(وهنا ينهال عليه أحدهم ضرباً بالسوط قائلاً) :

ذق .. ولن تلقى الشفيع !

(ثم يستأنف الشرطي قوله) :

ـ قد حشوا رأسك .. مهلاً .. هذه الرأس ستحطمْ
سوف نستخرج منها كل علم كنت تعلم
ألهبيه يا سياطي .. أطعميه الموت علقم
كنت تدعو الناس للإسلام ! .. لا شكّ ستندم
سوف تلقى الويل .. فارجع تائباً .. أجدى وأسلم

(الداعية المسلم) :

ـ إنها إحدى اثنتين : النصر أو حسنى الشهادة
ولقد باء بسخط الله من باع بلاده
باعها للكفر والإلحاد .. ما أخزى معاده ! !

(يمضي به أفراد الشرطة ، ويجد بعض المنافقين فرصتهم لكي يدلي كل منهم بدلوه ..)

(يقول أحدهم وقد أعجب بثبات الداعية المسلم وموقفه الجريء) :

ـ يا له من مؤمن .. لا ينثني عن فكرته
ثابت كالطود .. لا يخشى الردى في دعوته

(آخر) :

ـ ما الذي يجنيه غير الموت من هذا التمادي ؟ !
إنه لا شك مغرور .. عريق في الفساد
يزرع الفتنة والفرقة دوماً في البلاد

(آخر) :

ـ إن هذا ـ حسبما أسمع ـ (خوّان عميلْ)
حذرت (أبواقنا) منه .. وفي ذلك الدليل !

(آخر) :

ـ أي إسلام ترى يبغي ؟ ! .. فتاواه مريبة
قال بالأمس عن المرأة أقوالاً عجيبة
لا يبيحون لها تلك اللقاءات الحبيبة
وسفور الصدر .. والساق .. ونجواها الرطيبة
إنها لا بد أن تخرج .. في الدنيا الرحيبة
لا تراعي أي قيد .. إنها ليست معيبة
أختها في الغرب حازت ذروة المجد المهيبة
فلماذا نحن لا نطلقها في غير ريبة
أو ليست حرة ؟ ! ما ذاك ؟ دعواهم غريبة ! !

(آخر) :

ـ إنه يزعم أن الحكم لله القديرْ !
كيف هذا ؟ إنها أسطورة الوهم الكبير !
هل يريد اللهَ أن يحكم في كل الأمور ؟
إن شأن الدين في المسجد .. أو بين القبور
إن للإنسان عقلاً .. علمه فيض غزير
في غنى عن كل دين .. خط للناس المصير
عصرنا .. عصر فتوح العلم والفن المثير
قد غزا الناس فضاء الكون واجتازوا الأثير
يعبد الناس (إله) المال والكسب الوفير
وهو لا يلبث يدعو .. ثم يدعو .. لا يحور ! ..
وينادي : الحكم لله .. ضلالات .. وزور

(آخر) :

ـ لو أقاموا دولة الإسلام مات الناس جوعا
حرموا الخمرة .. والرشوة .. والفن الرفيعا
كيف نجني بعدها الربح ؟ ألا ماتوا جميعاً !

(آخر) :

ـ لو أقاموها لبات الناس كالطير الذبيح
بين مقطوع .. ومَرْجوم .. ومجلود يصيح ! ..
أي حكم هو هذا ؟ ! .. إنه الظلم الصريح

(آخر) :

ـ لو أقاموها لهبّ الشـرق والغرب علينـا
أو لعاد الظلم والإقطاع والفوضى إلينـا
ثم إن العصر عصر النور .. والعيش الرغيـد
شرعة الإسلام لا تصلـح للجيـل الجديـد

(آخر) :

ـ ثم ماذا يا ترى يفعل غير المسلمـين ؟
هل ترى يرضون بالإسلام حكمـاً طائعين ؟
نحن لا نقبل أن نؤذي شعور الآخريـن !
حكمنا من أجلهـم نؤثره من غير ديـن !

(قومي) :

ـ أيهـا الصحـب إليكم فكـرة الحـق الجليّـة
فكرتي من سفسطات الديـن بيضـاء نقيـة
فكرتي تربط ما بيني وبـين الجاهليـة
و (أبو جهل) زعيمي هو أستـاذ الحميـة
ونظـامي مستمـد مـن نظـام الماركسيـة
أنـا قومـي أصيـل وشعاراتـي قويـة
وحدة الطين التي تجمـع أوطـاني القصيـة
هـي لا شـك ستبـني دولـة العـرب الفتيـة
تصهـر الأشتات في بوتقـة الجنـس السويـة
ليـس للديـن عمومـاً بين أيدينـا وصيـة

إنــه يسعــى إلى الفرقــة ما بــين الرعيــة
كل من نادى ندائــي فأخــي في العصبيــة
هذه قوميــتي .. ديني .. وأهدافي السنيــة
كلهــا تســري لهيبــاً في دمــائي اليعربيــة
إنهــا فلسفــة تصنــع للشعــب رقيــة
فانصروها .. تبلغــوا الغــاية مــن كــل قضية

(شيوعي) :

ـ التقينــا .. غــير أنــي عالمــي المذهــبِ
دولــة الإلحــاد معبــودي .. وأمــي .. وأبي
وزعيمــي (ماركسٌ) عقــل عظيــم المــأرب
بطــل .. أحيــا عصور الغــاب في ذي الحقــب
أنكــر الله .. ولم يؤمــن بديــن أو نــبي
إن في مبدئــه الســامي نجــاة العــرب
حاجــة الإنسان في المطعــم أو في المشــرب
واشتراك النــاس في الشهــوة عنــد المطلــب
والصراع الحــاقد الدامي إزاء المكســب
كل مــا يدعو إليــه ذلك الشهــم الأبي
فانصــروه .. تأمنــوا فيــه شــرور النــوَب

(نفعي) :

ـ فكرتي يا أيهــا الصحــب اقتنــاص الدرهــمِ
لا أبالي .. إن همــي كلــه في المغــنم

قد تراني ثعلباً أنسل بين النوّم
أو تراني عند أقدام البغايا أرتمي
أو تراني هاتفاً : (عاش) لوغد مجرم
أنتمي يوماً لهذا .. أو لذاك أنتمي
أبتغي منفعتي من كافر أو مسلم
كلها عندي سواء في حصاد الموسم
خطتي هذي .. فهل في خطتي من مأثم ؟ !
لا أطيق الصبر عنها .. فهي صارت من دمي

(يظهر الشيطان فجأة في وسط المجموعة فرحاً بوجودهم ، مبتهجاً لأحاديثهم وآرائهم .. ولا تخفى أمارات ذلك الفرح والابتهاج على قبح هيئته وسوء طلعته .. ثم يقول لهم) :

(الشيطان) :

مرحباً بالأهل .. بالاخوة .. مرحى بالاحبة
أنتم حزبي .. فهيّا كلكم يفتح قلبه
إنه بيتي .. لقد أعددته للكفر جعبة
مزقوا الإسلام هيا .. واجعلوا التوحيد سُبه
ثم كونوا لفساد الناس دعوى مستتبة
انشروا الفتنة .. لا تُبقوا من الإيمان حبة
إنكم إن تتركوها فرخت في كل تربة ..
استعدوا .. إنه الباطل قد أعلن حربه
احملوا الراية .. فالباطل لن يعدم حزبه

عينان [1]

عينـان كلتاهمـا في الليـل ساهـرة
وتحت ثوب الدجى والصمت تلتحفُ
في كـل رعشـة جفـن منهمـا ألق
إلى السماء ونحو الخلـد منعطف
إحداهما في سبيـل الله قائمـة
على الثغور وفي جفن الردى تقف
تذود في حبهـا القدسي عـن وطن
حر .. وليس بقيد الذل تعترف
أصـالة الحـق للعليـاء تحفزهـا
وحولهـا مهـج الأبرار تأتلـف
ولـن تقر عـلى نوم ولا دعـة
حتى يعـود عزيـزاً روضهـا الأنف
وأختهـا في سكون الليـل خاشعـة
مقروحة الجفن في المحراب تعتكف
من خشيـة الله أو مـن فيض رحمتـه
باتت ومدمعها في لوعة يكـف
كأنهـا في بحـار الشوق سابحـة
أو من رحيق الهدى والطهر تغترف

---

(١) ديوانه « نداء الحق » ص (١٢١) .

بين الرجـاء وبـين الخـوف منزلـة
ينبيـك عـن سرها المكنون من عرفوا
عينـان هذا مـع الرحمـن شأنهمـا
يأويهمـا منـه في جنـاته كنف

دعوة المظلوم [1]

تفلتت من شرور الأرض وانطلقت
كالسهم يحدو بها صدق وإيمانُ
حتى إذا غرقت في النور وانقشعت
في حضرة القدس آلام وأحزان
ألقت إلى حَكَم عدل ظلامتها
فقام للحق عند الله ميزان
لأستجيبنّ للمظلوم دعوته
ولو تطاول أزمان وأزمان
فلا تكونَنّ مكتوف اليدين على
عجز ..وعندك من ذي العرش سلطان

---

(١) ديوانه « نداء الحق » ص (١٢٤)

فقراء إلى الله [1]

يا رب انـت المستعـان وإننـا
أبـداً لفضلـك عالـة فقـراءُ
نرجـوك في كـل الأمور .. ومالنا
في غير منّـك يـا كـريم رجـاء
أنت الغني ومـا لجودك منتهـى
بيديـك سر الخلـق والإحيـاء
لولاك ما كنا .. ولا كانت لنـا
دنيـا .. ولا عمرت بنا أرجـاء
لولاك مـا خفقـت جوانحنـا ولا
رعشت بآيات الهـدى أضـواء
ما اهتز غصن أو ترنـم شاعـر
أو كحّلـت عـين الوجـود ذكـاء
أو سـال قطـر أو ترقرق جـدول
وتلألأت في الروضـة الأنـداء
لولاك مـا كشف الحقيقـة عالـم
أو كان في دنيـا الورى حكمـاء
ما حلقـت عبر الفضاء سفينـة
أو أرسلت ضـوء النجـوم سمـاء

---

(١) ديوانه « نداء الحق » ص (١٢٥) .

أبـدعت هـذا الكون من عدم وفـي
يـدك التصرف فيـه كيـف تشـاء
ما كان أو سيكون أو هـو كائـن
يفنى .. وليس لمـا سواك بقـاء

* * *

إن كنتُ في عرض البحار فعربدت
هوج الريـاح وأرعدت أنـــواء
أو طرت في رحب الفضـاء فخانني
حظ وأوشك أن يحـين قضـاء
أو شفّني هـم .. ينوء بحملـه
ظهري .. وراشت سهمهـا الأرزاء
أو كنت مقطوع الأواطر نائيـاً
فلمن يكون تضرع ودعـاء ؟
ولمـن تخرّ جباهنـا .. وقلوبنـا
حتى تـزول بعونـه البأسـاء ؟
يا رب أنت المستعـان .. وإننـا
أبداً إليـك جميعنـا فقـراء
مـن كان في حفظ الإلـه وحـرزه
ذلـت له العقبـات والأعبـاء

* * *

أنا إن ضللت فمنك نور هدايتي
وإذا مرضت ففي رضاك شفاء
وإذا عطشت فمن معينك أستقي
أو جعت كان بما رزقت غناء
وإذا عريت فأنت وحدك ساتري
وجميل عفوك جنة ورداء
وإذا تنكبت الطريق رجعت في
ندم إليك .. ففي حماك نجاء
وسعتْ مكارمُك العباد برحمة
وتتابعت من فيضك الآلاء
يا رب خيرك للبرية نازل
وإليك يصعد منهم الإيذاء
يا رب حلمك لم يدع لمقصّر
عذراً فهلا يرعوي السفهاء ؟ !
لو كان ربك بالعقاب معجلاً
لأتى على هذي القرون عفاء
عجباً .. أيأنف أن يمرّغ هامة
لله قوم ضلالة تعساء؟ !
لكأن هاتيك القلوب جلامد
وكأنما آذانهم صماء !
وإلى متى هذا الكنود ؟ تجردي
وتعبدي لله يا أهواء !

من أدب الدعوة الإسلامية Facebook:RareIslamicPoetry

عصام العطار

حياته :

ولد الأستاذ عصام العطار في دمشق لعائلة عريقة عرفت بالتقوى والعلم ، وتلقى فيها علومه ثم أكملها بمطالعاته الخاصة الواسعة ، وعمل في التربية والتعليم فكان من ألمع العاملين في هذا الحقل بدمشق ، كما أنه وهب حياته للدعوة الإسلامية منذ فجر شبابه حتى غدا من أعلامها في العالم الإسلامي ، وعرفه الناس مفكراً حكيماً وسياسياً صادقاً وقائداً مجاهداً وقف في وجه الانحراف والاستبداد ودافع عن قضايا الأمة في جرأة نادرة . وعندما زاد طغيان عبد الناصر وأعوانه في فترة الوحدة بين مصر وسورية كان عصام العطار من الأصوات النادرة التي جهرت بموقفها من الطغيان ونددت بأساليبه وبخاصة في خطبه الشهيرة بمسجد جامعة دمشق وجامع « دنكز » وكانت تلك الخطب تستقطب الجماهير الإسلامية ومنها آلاف الشباب .

وبعد انفكاك الوحدة بين مصر وسورية وعودة الدعوة الإسلامية للعمل العام كان عصام العطار قائداً لها في سورية ، وخاض الانتخابات النيابية على رأس قائمة من إخوانه ففاز

بالنيابة عن دمشق فوزاً ساحقاً تجاوز فيه السياسيين الكبار العريقين في العمل السياسي ، وأثار ذلك الفوز حفيظة أعداء الدعوة الإسلامية ، كما كان موضوعاً لتعليقات المعلقين والمراسلين الأجانب الذين قام بعضهم يدق أجراس الخطر ويحذر من فوز العطار وإخوانه وما يمثله ذلك من نهضة إسلامية شعبية .

وبعد الظروف السياسية الأخيرة التي مرت بها سورية منذ أواسط الستينات تفرغ الأستاذ عصام العطار للعمل الإسلامي في أوروبا ، وبخاصة في حقل الطلاب العرب والمسلمين القادمين للدراسة والتخصص ، وقد أعطى هذا الجهد ثمرات مباركة لا تزال تزيد وتنمو .. على أنه رغم ذلك العمل فإن الأستاذ العطار لم ينقطع عن المشاركة في الاهتمام بأمور المسلمين والدعوة الاسلامية في سورية وبقية العالم الإسلامي .

عرف عصام العطار بأنه أديب ذوّاقه يتقن فن الكلمة المؤثرة ، وهو خطيب مفوّه من خطباء العربية النادرين في هذا العصر الذي غلبت عليه العجمة وضاع فيه البيان ، كما أن له نفثات شعرية ضمنها نجاوى فكره وذوب نفسه المحترقة لهموم الإسلام والمسلمين . وجاء شعره صورة صادقة له في تواضعه وإبائه ، وكفاحه المستمر ، والتزامه لحدود الإسلام وجهاده في سبيله .

مختاراتنا من شعره :

١ ــ « من شكاة القلب » ، نظمها الأستاذ عصام في ديار

الغربة وقد اشتد به الحنين إلى إخوانه وأهله ووطنه .. فكانت هذه القصيدة تعبيراً عن خلجات نفسه وتصويراً لومضات مشاعره وصدق عاطفته ونشرت في مجلة الشهاب اللبنانية في العدد الثامن من السنة الأولى عام ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م .

وقد قام بعض شعراء الحركة الإسلامية بمعارضتها ، ومن هؤلاء الأستاذ راتب السيد الذي نشر معارضته بعنوان « صدى القلب » في مجلة الشهاب العدد التاسع من نفس العام ، ومطلعها :

يا صاحب الشوق هيجت اللواعج بي
أذكرتني العهد عهد الإخوة النجب
طال اغترابك حتى سال مدمعنا
شوقاً إلى الحب حب الدين والأدب
أما الأحبة فالأشواق تحرقهم
إلى اللقاء ولو في السبعة الشهب
سنلتقي يا أخي مهما النوى بعدت
مهما زكا الشوق في أحشاء مغترب
لا بد من رجعة مهما المزار نأى
مهما عدا المعتدي أو جدّ في الطلب
الله أكبر إنا سوف نسمعها
وسوف نشدو بها في الفوز والطرب
الله أكبر إنا سوف نعلنها
على الأعادي سعيراً حامي اللهب

الله أكبر إنا سوف نرفعها
تدوي لتكشف زيف الشك والريب

ومنها :

يا أيها الليث لا تهتم من فئة
قد هاجها الحقد غدراً غير محتجب
الضغن أرث فيها كل موجدة
وسوف يوقعها في شر منقلب
كم حاربوا الدين والإسلام واجترأوا
وأعملوا الناب في الأعراض والنشب
واستلهموا الكفر في آرائهم وبهم
بلادنا قلبت رأساً على عقب

ومنها :

يا دعوة الحق إنا لا نزال على
درب العقيدة لم نحجم ولم نخب
نغدو على ساحة الإسلام عن ثقة
ولو صلبنا على الأعواد والقضب
غداً ستسمع أصوات الدعاة لها
في مسمع الدهر صوتاً عالي الصخب
يرنو الزمان لهم بل يستعيد بهم
مجداً يتيه بهم في ثوبه القشب

شريعة الله لـن تبقى مهـــددة
مهما اختفت من دجى الأنوار والسحب
فالله أيدهـا في نصـره وكفـى
به نصيراً لهـا في كـل مضطـرب

٢ ـ « إلى الإخوة الأحبة في الشام » . عندما توفي رائد الحركة الإسلامية في بلاد الشام الدكتور مصطفى السباعي عام ١٩٦٤ م ، ومنعت السلطات السورية الأستاذ عصام العطار من دخول البلاد للمشاركة في تشييع جثمانه وأغلقت في وجهه الحدود .. نظم هذه القصيدة ووجهها لإخوانه في الشام .

من شكاة القلب

طـال اغترابي ومـا بيني بمنقضـب
والدهر قد جدّ في حربي وفي طلبي

والشوق في أضلعي نار تذوبـني
ما أفتـك الشوق في أضـلاع مغترب

أين الأحبة ما بيـني وبينهـم ..
لـج البحار وأطراف القنـا السلـب

عزّ اللقاء فلا لقيـا ولا نظـر
ولا حديث على بعـد ولا قـرب

كم ذا أحن إلى أهلي .. إلى بلدي
إلى صحابي ، وعهد الجـدّ واللعب

إلى المنازل من دين ومـن خلـق
إلى المناهـل مـن علم ومـن أدب

إلى المساجد قد هام الفؤاد بهـا
إلى الأذان كلحن الخلـد منسكب

الله أكبر هـل أحيـا لأسمعهـا
إن كان ذلك يا فوزي ويا طربي

إني غريب ، غريب الروح منفرد
إني غريب ، غريب الدار والنسب

* * *

ألقى الشدائـد ليـلي كلـه سهـر
وما نهاري سوى ليـلي بلا شهب
أكابد السقم في جسمي وفي ولدي
وفي رفيقة درب هدّها خبـي
قال الطبيب وقـد أعيتـه حالتنـا
ولم يغادر لمـا يرجوه مـن سبـب
كيف الشفـاء بعيش جـد مضطرب
والفكر في شغل والقلب في تعب ؟ !
ما دمت في بهرة الأيام منتصباً
للطعن والضرب لا رجوى لمرتقب
ولو ملكت خياري والدّنا عرضت
بكل إغرائها في فنها العجـب
لما رأت غير إصراري على سنني
وعادها اليأس بعد الجهد والنصب
قلبي خـليّ عـن الدنيا ومطّلـبي
ربي فليس سراب الأرض من أربي

* * *

وطالبـين هـلاكي حشوهـم ضغن
وقد بدا غدرهم لي غير منتقب
يتابعـون خطا ليث أضـرّ بـه
ريب الزمان بجرح الدهر مختضب

يتابعـون خطا ليـث عزائمـه
ـ على نوازله ـ أورى من اللهب

ألفاظهم : عرب ، والفعل مختلف
وكم حوى اللفظ من زور ومن كذب

إن العروبة ثوب يخدعون بـه
وهم يرومون طعن الدين والعرب

واحسرتاه لقومي غرهـم قـزم
سعى إليهم بجلـد المنقذ الحدب

حتى إذا أمكنته فرصة بـرزت
حمر المخالب بين الشك والعجب

ومزق الجلـد عـن وحش أضالعـه
حقداً كليل رهيب قاتم السحب

وأعمل الناب لا شرع ولا خلـق
في الجسم والنفس والأعراض والنشب

وحارب الدين ، والاسلام قاهره ،
وكم خلا مثله في سالف الحقب

إذا قضى الله أن أحيا حييت لـه
وإن قضى الموت لم أخسر ولم أخب

* * *

يا سائرين على درب اليقين[1] كما
تمشي الأسود بقلب غير مضطرب

---

(١) هم شهداؤنا الأبرار .

وطالعين على (الأعواد) خاشعـــة
وقد رَنَا الكون في شك وفي رهب
وراحلين وعين الله ترمقهـــم ..
وجنة الخلد في شوق وفي رغب
وتاركين عـلى الأيام من دمهم ..
(معالماً) لطريق الحق لم تغب
وخالدين على رغم الطغاة بمـــا
جادوا من الروح أو صاغوا من الكتب
كم قد طوت لجة النسيان طاغيـة
وساطع الفكر لم يشجب ولم يجب
أواه يا راحل الأحباب من كبـدي
لم يبق منها على شجوي سوى الوصب
أبكي عليكم وهذا منتهى عجبي ..
والقلب من ذكركم في نشوة الطرب
أحنّ شوقاً إلى أيامنا .. ومضت
قد أقوت الدار من أصحابي النخب
ما غاب وجهكم عن عين مدكر ..
ولا رقا جرحكم في قلب محتسب
تجري الدموع بعين الليث ساكبة
وعين ريم بستر الصوت محتجب
والطفل في المهد لم يعلم لم انقلبت
حياتـــه بعد بشـــر شـــر منقلـــب

والليل من رقة تندى جوانحه
ولا يرق لشكوى العاشق الوصب

أرض الشهادة ! لا يأس ولا وهن
فلا تبيتي على يأس وتنتحبي

كم أنبتت دوحة الإسلام من (حسن)
وأطلعت في بهيم الليل من (قطب)

* * *

ماذا أعدد من شجوي ومن ألمي
والدهر مستلئم في جيشه اللجب

إذا رمى السهم بالبأساء أقصدني
وإن رمى السهم بالنعماء لم يصب

في كل يوم على الأحباب مختضب
من مدمع القلب يجري إثر مختضب

والمدعون هوى الإسلام سيفهم
مع الأعادي على أبنائه النجب

يخادعون به ، أو يتقون به ...
وما له منهم رفد سوى الخطب

أعمالهم حجة الأعداء إن ضربوا
كانت بكفهم أمضى من القضب

فدتك نفس (أبا الأعلى[1]) وهل سلمت
نفسي لأفديك من (أهل) ومن (صحب) !

---

(١) المودودي .

أما استحى السجن من شيخ ومفرقه
نور ، بغير طلاب الحق لم يشب
أنت المنارة للإسلام إن خبطت
سفينة الفكر في داج من الريب
إيه أبا زاهد[1] يا قمة شمخت
بالعلم والفضل يا كنزاً لمكتسب
ماذا عن الصحب والإخوان في حلب
ياطول سهدي على الإخوان في حلب
ما قرّ جنبي وقد أقوت مضاجعكم
كأن جنبي مطوي على قضب
ماذا تعانون من عسر ومن رهق
ماذا تقاسون من سجن ومن حرب
يا أوفياء وما أحلى الوفاء على
تقلب الدهر من معط ومستلب
أفديكم عصبة لله قد خلصت
فما تغير في خصب ولا جدب

* * *

ربي لك الحمد لا أحصي الجميل إذا
نفثت يوماً شكاة القلب في كربي

---

(١) الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة .

فلا تؤاخذ إذا زل اللسان ومـــا

شيء سوى الحمد في الضراء يجمل بي

للك الحياة كما ترضى ، بشاشتها

فيما تحب ، وإن باتت على غضب

رضيت في حبك الأيـــام جائـرة

فعلقم الدهر ـ إن أرضاك ـ كالضّرب

شكراً لفضلـك إذ حمّلـت كاهلنا

مما وثقت بنا ما كان من نُوب

إلى الإخوة الأحبة في الشام [1]

تطاوَلَ ليــلي والسُّهــادُ مرافِقــــي
وما أطولَ الليــلَ البهيــمَ لآرِقِ

غريبٌ يُقلِّبــهُ الحنــينُ عــلى الغَضى
ويُرْمِضُــه شوقاً إلى كلّ شائــق

تناءت به دارٌ وأوحشَ مــنزلٌ
وظلَّلَــه هــمٌّ مديــدُ السُّــرادِق

وألقتــه أحداثٌ عــلى غارِبِ النّوى
فيا ليتَ شِعري هلْ معادٌ لتائق ؟ !

تَمُرُّ بــه الأيامُ جُرْحاً وأَسْهُمــــاً
وصبراً تحدّى كِبْرُه كلَّ راشِــق

وشعلــةَ إيمانٍ يزيــدُ اتّقادُهــــا
على عَصَفــاتِ الدهــــرِ عندَ المآزق

أحِبّايَ يا مهوى الفؤادِ تحيّــــةً
تجوزُ إليكمْ كلَّ سدٍّ وعائِـــق

لقد هدّني شــوقٌ إليكــمْ مُبَرِّحٌ
وقَرّح جفني دافقٌ بعــدَ دافِق

---

(١) مجلة المجتمع اللبنانية سنة ١٩٦٤ م .

وأرّقني في المُظْلِمات عليكمُ
تكالبُ أعداءٍ سَعَوْا بالبوائق [1]
فمنهمْ عدوٌّ كاشِرٌ عن عِدائه
ومنهمْ عدوٌّ في ثياب الأصادِق
ومنهم قريبٌ أعظمُ الخطْب قُرْبُهُ
لهُ فيكم فِعْلُ العدوِّ المفارِق
أردتمْ رضا الرحمنِ قلباً وقالَباً
ولم يَطْلبوا إلاّ حقيرَ الدوانِق
فسدَّدَ في دربِ الجهادِ خطاكمُ
وجنّبكُمْ فيه خَفِيَّ المزالِق
بروحي شبابٌ منكُمُ غيّبَ الثّرى
تهاوَوْا كِراماً صادِقاً إثْر صادِقِ
بروحي الدّمُ المُهْراقُ في ساحةِ التّقى
يلوِّن دربَ الحقِّ لَوْنَ الشقائق
بروحي ذاكَ الطُّهْرُ والعلمُ والنُّهى
بروحي ذاكَ العزمُ في كلِّ سابق
بروحيَ أُسْدٌ كبَّل البغيُ خَطْوها
وأوْسَعَها عَسْفاً بكلّ المرافِق
فلم ير فيها غيرَ أصْيَدَ صابِرٍ
ولم ير فيها غيرَ أَرْعَنَ [2] شاهِق

(١) بالبوائق : بالدواهي والغوائل والظلم والشر .
(٢) الأرعن : الجبل ذو الرّعان ، أي الأنوف العِظام الشاخصة .

وغيرَ أبِـيٍّ باعَ في الله نفسَــــهُ
وأرْخَصَها في المــأزِق المُتَضــايِق

وقفتُ شَجِيــاً لا أرى ليَ مَخْلَصــاً
إليكمْ وقدْ سُدَّتْ عــليَّ طرائقي

تمنّيــتُ أنّي أفتديكــمْ بمهجــتي
وأحمــلُ ما حُمِّلْتُــمُ فوقَ عاتِقي

على « منقذٍ »[1] مني السلامُ وصَحْبِـهِ
وعَلى فراقــاً لا يطولُ لــوامِق

شبابٌ كما الإسلامُ يَرضى خَلائِقــاً
وديناً ووعْياً في اسودادِ المفــارِق

قلوبُهُمُ طُهرٌ يَفيضُ عــلى الــورى
وأيديهــمُ تأسوا جراحَ الخــوافِق

هم السّلْسَلُ الصافي عــلى كلِّ مؤمــنٍ
وفي حومــةِ الهيجــاءِ نارُ الصــواعِق

أطلّوا على الدنيا كواكبَ تهتدي
بنورِهمُ عند اشتبــاهِ المفــارِقِ

وسادوا عليها مخلصينَ لربّهــمْ
فلــمْ يحملوا أغلالَهــا في العواتِق

سبيلُهمُ ما أوضحَ اللهُ نهجَــــهُ
إذا حــادَ عنــهُ كلُّ وانٍ وفاســق

---

(۱) من شهداء الدعوة الإسلامية في سورية سنة ١٩٦٤ م .

فلم يَرهبوا في اللهِ لومةَ لائـم
ولمْ يحذَروا في اللهِ غضبـةَ مارِق

ولم يُطْبِهِمْ[1] يوماً ثوابُ مُساوِم
ولمْ يُصْبِهِمْ يومـاً ثناءُ منافِـق

هـمُ الذهبُ الإبريزُ سِراً ومَظْهَراً
جبـاهُهُمُ بيضٌ بيـاضَ الحقـائق

هُمُ الحُلْمُ الريّانُ في وَقْدَةِ الظَّمـا
وليسَ على الآفـاقِ طيـفٌ لبارِق

هُمُ الأملُ المرجوُّ إنْ خابَ مأْمَلٌ
وأَوهنَ بُعْدُ الشّوْطِ صَبْرَ السوابق

كأني أراهمْ والدُّنا ليستِ الدُّنـا
صلاحـاً ونورُ اللهِ مِلْءُ المَشـارِق

أقاموا عمودَ الدينِ منْ بعدِ صَدْعِـهِ
وأعْلوا لـواءَ الحقِّ فـوقَ الخلائق

على البعدِ يا أحبابُ أهفوا إليكـمُ
خيالُكُمُ أنّى سَرَيْتُ مُعانِقـي

أقاموا سدودَ الظُّلْمِ بيني وبينكُمْ
وما نقَموا إلاّ يقيـني بخالِـقي

فَبِتُّ على لبنانَ قلْبـاً معذَّبـاً
أُكابدُ في الأضلاعِ جَمْرَ الحرائق

---

(١) لم يطبهم هنا : لم يَستمِلْهُمْ ويَقُدْهم .

فلا راحةٌ حتى ولو لانَ مَضْجَـعٌ
ولا رَوْحَ حتّى في ظـلالِ البواسِـق
أُلامِحُ منْ خلْفِ الحدودِ منـــازِلاً
تلوحُ كما لاحَ الشّراعُ لغـارِق
تَمَنَّيْتُ حتّى ضَجْعَةَ السجــنِ بينكُمْ
على الصّخرِ في جوٍّ منَ الجوْرِ خانق
صلابةُ أرضِ السجنِ إن كانَ قربكُمْ
أحبُّ وأشهـى من طَرِيِّ النّمارِق
ولم تَر وجهي عند نَعشِكَ مصطفى[1]
وذلكَ جرحٌ لا يغورُ بخَافِقـــي
مكانُكَ في قلبي الوفيِّ موطَّـــدٌ
فأنتَ على طولِ الزمـانِ مرافِقي
أحبّايَ صَبْراً للفــراقِ وما رمـتْ
بهِ غالـيَ الأكبـادِ أَيدي الطوارِق
أحبّايَ إنّ النصرَ لا بدَّ قـــادمٌ
وإني بنصرِ الله أوَّلُ واثِـــق
سَنَصْدَعُ هـذا الليلَ يوماً ونلتقـي
مع الفجرِ يمحو كلَّ داجٍ وغاسِق
ونمضــي على الأيام عزماً مُسَدَّدًا
ونبلغُ ما نرجوهُ رغمَ العوائـق

---

(١) هو الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى .

فيعلو بنــا حقٌّ ـ عَلَوْنــا بفضلِــهِ ـ
على باطلٍ ـ رغم الظواهرِ ـ زاهِق
ونصنعُ بالإسلامِ دُنْيا كريمـــــةً
ونَنْشُرُ نورَ اللهِ في كلِّ شارِق

جَـمال فـوزي

حياته :

ولد الأستاذ جمال فوزي في بلدة شنشور من قرى محافظة المنوفية بمصر ونشأ في أسرة كريمة متدينة . وتلقى فيها علومه ثم أكملها بمطالعاته الخاصة . وعرف بين الناس باهتمامه بقضايا أمته ووطنه .. وكان يتطلع إلى اليوم الذي تغرب فيه شمس الاستعمار عن أرض الكنانة ، ووجد في الحركة الإسلامية الناشئة في مصر ما يحقق آماله فارتبط بها وكان من شبابها المؤمنين الذين جاهدوا من أجل دعوتهم وثبتوا على فكرتهم ، وقضوا زهرة شبابهم في سجون الطغاة من أجل إقامة الأمة على منهج الإسلام .. دخل السجن أيام فاروق حيث كان من المتهمين في قضية سيارة الجيب فقضى فيه فترة ثم خرج ليدخله ثانية سنة ١٩٥٤ م أيام حكم عبد الناصر ثم خرج ليقبض عليه ثالثة سنة ١٩٦٥ م بعد إعلان موسكو الشهير .

وفي السجن فقأوا عينه اليسرى وكسروا يده وعموده الفقري ، وهشّموا أسنانه ومزقوا جسده .. وصار جثة ترفع وتحمل وتقذف وتركل .. ورغم ذلك كان يبتسم ابتسامة

المؤمن ويصبر صبر الإيمان ، ويتمثل قول الله عز وجل : (أحَسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)[1] .

وخرج جمال فوزي من السجن ثابتاً على دعوته متمسكاً بفكرته فخوراً بإسلامه لم تزده المحنة إلا ثباتاً ولم يزده التعذيب إلا إصراراً .. وما زال يواصل جهاده مع إخوانه ويقف على ثغرة من ثغر الإسلام ويدعو إلى الله على بصيرة .

شعره :

جمال فوزي شاعر عميق الفهم ، نير العقيدة ، فصيح اللفظ ، قوي التعبير صادق العاطفة ، متقد المشاعر في كل ما ينظم .. يلم بكل خلجة من خلجات النفس وكل خاطرة من خواطر القلب .. كآن من الذين يقرضون الشعر ولكن بقلة إلا أن فترة السجن الأخيرة حركت كوامنه وأهاجت مشاعره فترجم أحداث المحنة شعراً وروى تاريخاً شهدته الزنازين بين جدران السجون مبرأً من الكذب وخالياً من التَّزيد .. قال في قصيدة بعنوان « إبتهال مؤمن » :

إلهــي قد غدوت هنــا سجينـاً
لأني أنشــد الإســلام دينـــا
وحــولي إخــوة بالحــق نــادوا
أراهــــم بالقيــــود مكبلينـــا

---

(١) الآية رقم ٢ من سورة العنكبوت .

طغـاة الحكم بالتعذيـــب قامــوا
على رهط مــن الأبرار فينـــا
فطوراً مزقوا الأجســـام منـــا
وطـــــوراً بالسيــــاط معذبينـــا
وقد لاقــى الشهادة يا رفـــاقي
رجال لا يهـــابون المنونـــا

لقد جاء شعره نموذجاً حيًّا ومشهداً واقعياً من مشاهد التاريخ الحديث لجهاد الحركة الإسلامية .. جاء ثمرة للتجارب الشعورية التي عاشها ، فعبر عنها بأسلوبه الخاص .. وذكر الحقيقة بثوبها الأدبي .

وشاعرنا يرى أن الشعر ليس كلاماً يقال في الفخر والجدل ، ولا أبياتاً تقفى .. وإنما الشعر هو الذي يرفع راية العقيدة ويدافع عن الحق ويبحث قضايا الفكر .. قال في قصيدة بعنوان « قضية فكر » :

قرضــت الشعــر أبياتــاً طــوالاً
وناقشت المحــــافل والرجـــالا
وبرهنــت الحقائــق في وضـــوح
وما كانت فروضاً أو خيـــالا
فليس الشعـــر أبياتـــاً تُقفّـــى
وليس الشعــر فخــراً أو جدالا
قضايا الفكر يبحثهـــا رجـــال
أحبّـــوا الحق واعتنقــوا النضالا

فمـــا وهنـــوا إذا ما الجمـــع ولّى
وكان الشعر في الهيجـــــا مجـــالا

وامتاز شعر جمال فوزي بأنه تسجيل حي لمشاهد الحياة في جوانبها السياسية والاجتماعية ، بأسلوب قصصي مؤثر . كما امتاز بوضوح الفكرة وسلامة اللغة وسهولة التعبير .

مختاراتنا من شعره :

١ ـ « قصة شهيد » . لقد تعرضت الحركة الإسلامية في مصر في الخمسينات والستينات من هذا القرن إلى مؤامرات كثيرة ، ودخل شبابها في محنة وتعرضوا في السجون إلى ألوان شتى من التعذيب ونال عدد كبير منهم الشهادة .. وهذه القصيدة نظمها الشاعر داخل السجن لتروي قصة شهيد من هؤلاء الأبرار .

٢ ـ « قطّتي » : ، قصيدة نظمها الشاعر في سجن مزرعة طرة .. تحكي قصة واقعية لقطة كانت تعيش معه في السجن .. قطّة تعلمت النبل والأمانة وأصبحت أكرم من الجلادين .

قصة شهيد [1]

في التاريخ الحديث لجهاد الحركة الإسلامية حيل بين الأمهات وقبور الشهداء من فلذات الأكباد وشهر في وجوه المؤمنات الزائرات سلاح من فرّوا من ميادين الجهاد ـ وهذه قصة من عشرات القصص لأخ شهيد قضى عشر سنوات بين جدران السجون ثابتاً عملاقاً ثم أعيد اعتقاله فعذب حتى نال الشهادة. وهذه أبيات تروي قصته: ـ

ذهبت يــراود قلبهــــا ... أمــل يحقــق حلمهــا
ومضــت تفكــر كيــف ... تلقــى غائبــاً عــن عشها
حملتــه في أحشائهـــا ... ربتــه في أحضانهـــا
ودعــت إلــه الكــون أن ... يرعــاه مــن أعماقهــا
وتفتحــت آفــاقــه ... وتحققــت آمالهـــا
فــإذا الوليـد مجاهــداً ... يرعــى العهــود جميعها
بــاع الحيــاة رخيصــة ... للــه يرجــو أجــرها

(١) مجلة المجتمع الكويتية العدد (٢٤٠).

حتـــى طوتـــه سجونهـــم دهــراً وفي ظلماتهـــا
كم ساومـــوه لكي يحيـد عــن العهـــود بأســرها
ولكي يخـــون كتائبـــا باعـــوا النفـوس لربهـا
ولكي يشـــوّه مــا أضـاء الكـــون مـــن صفحاتهـا
ولكي يكـــون صنيعـــة الشيطـــان بـــين صفوفها
وأبى الكريـــم مباهـــج الدنيـــا وطلـــق أمرهـا
ورأى السجـــون معاقـــل الأحـــرار رغـــم قيودهـا
وأصـــر أن يعـــلي نـــداء الحـــق في جنباتهـــا
فقضـــى السـنين العشـر عملاقـاً كشـــم جبالهـا
ذهبت لكـــي تلقـــاه يـــوم خروجـــه بحنانهـا
وتضمـــه في لهفـــة وســـط الجمـــوع لصدرها
ويضمهـــا العمـــلاق فـــي حـــب يقبـــل رأسهـــا
ويقـــول يا أُمّاه عـــاد إلى الجهـــاد رجالهـــا
أنا لن ألـــين ولن أخـــون ولـــن أغـــادر ركبهـــا
أنـــا لن أهادن مـــن بغـــوا يومـــاً عـــلى أبرارهـــا
سأظـــل نـــاراً يحـــرق الأشـــرار حـــر لهيبهـــا
سأظـــل حربـــاً تسحـــق الفجـــار في أرجائهـــا
قالـــت رعـــاك الله يـــا ولدي الحبيـــب فكن لها
إن تنصـــروا الرحمـــن ينصـــركم عـــلى فجـــارهـا
ومضـــت به نحـــو الديـــار وكـــــبرت بربوعهـــا
تخـــذت كتـــاب اللـــه نبراســـاً ينير طريقهـــا
لم تمـــض أيـــام عـــلى هـــذا الهـــدوء بدارهـــا

حتى أتـى جنـد الطغـاة وكـرروا مأساتهـا
كـان المجـاهد يقـرأ القـرآن يسمعـه لها
ويرتـل القـرآن ترتيـلاً يجـدد عـهدهـا
ويفسـر التنزيـل تفسـيراً يعمـق فهمهـا
وإذا بشـرذمـة الطغـاة الآثمـين ببابهـا
في ليلـة سـاد السكـون بهـا وأظلـم ليلهـا
وانقض أعـوان الطغـاة يكبلـون حبيبهـا
صـرخت وقالـت ويحكـم مـاذا جنـى أطهـارهـا
همـت بلثـم جبينـه فيردهـا أشـرارهـا
رفـع المجـاهد رأسـه في عـزة أكـرم بهـا
ويقـول في عـزم الرجال تشجعـي فأنـا لهـا
الذنب ذنـب شعوبهـا خانت طريق كفاحهـا
واستسلمـت للبغـي حتـى قادهـا جـلادهـا
فعـدا عليهـا الغاشمون وحطمـوا أمجـادهـا
سـتريـن يومـاً شرعـة الرحمـن تحكـم أرضهـا
ويزول مـن كـل الوجـود شـرارهـا وطغاتهـا
وهنـا يسـير به اللئـام ويسخـرون بـدمعهـا
وطوتـه جـدران السجون لكـي يـرى أهـوالهـا
كم مزقتـه سيـاطهم وتلقفتـه كلابهـا
حتـى انتقتـه شهـادة عليـاء في جناتهـا
وهنـاك يلقـى ربـه ويطـل مـن عليائهـا
والأم كانـت في حنـين تستجيـب لشـوقهـا

حتى نعتـه لها الوفود ... بكته في سجداتها
رباه قد ضاق الطغاة ... بمثله وبمثلها
ذهبت لتشهد قبره ... ترويه من عبراتها
فاذا الجنود تحوطه ... في غلظة بسلاحها
والأم قد ردت وقد ... شهر السلاح بوجهها
قالت أما أولى بكم ... أن تملأوا ميدانها
سيناء ولت يوم أن ... سجن الطغاة حماتها
ذهب العدو بأرضكم ... واحتل كل قناتها
وتمركزت قواته ... عبر الحدود بأرضها
وفررتمو في ذلة ... تأبى الكلاب مثيلها
أين المدافع والبوارج ... والجيوش بزحفها
أين الصواريخ الضخام ... وأين أين أزيزها
بل أين أين الطائرات ... تدك حصن حدودها
أين الملايين التي ... قد أنفقت لشرائها
الطائرات تحطمت ... قبل المعارك كلها
وسلاحكم أخذته اسـ ... ـرائيل فوق عتادها
والعاهرات بجيشهم ... قد فزن في حلباتها
أذللن أعناق الطغاة ... الماجنين بساحها
ويقلن في كبر قهرنا ... العرب في أوطانها
والواهبون حياتهم ... لله ملء سجونها
وكأنهم قد أجرموا ... أو لوثوا تاريخها
والهاربون من المعارك ... يملكون زمامها

وكأنهم قد حرروا الأرض السليب لأهلها
بئس الجيوش جيوشكم يا وصمة بجبينها
غرقى إلى أذقانكم بالعار في أوحالها
هلكى لفرط ذنوبكم يا شر كل عصاتها
عوداً إلى شرع الإله وطلقوا إلحادها
ودعوا جنود الحق للصحراء يقتحمونها
لتعود أرض المسلمين إلى عزيز كيانها
عادت تناجي ربها في ليلها ونهارها
تستمطر الرحمات للشهداء في محرابها
دنيا المجاهد كلها محن لصهر رجالها
الشوك بين سهولها والزهر فوق هضابها

قطّتي (1)

بين جدران سجن مزرعة طرة استأنست القطط المتوحشة التي كانت تختطف لقيمات رديئة و(سـوس الفول) من بين أيدي الذين لا يكادون يجدون ما يسد الرمق . فلما سمح بالزيارات وكثر الطعام وامتلأت بطون قطط الجبال أصبحت وديعة مستأنسة لا تعتدي على الطعام وأقلعت عن خيانات كانت في دمها فتلاشت .

أما الجلادون فقد سرقوا الطعام وباعوا الماء للأبرار وظلوا كما هم بلا إنسانية ولا ضمير .

وهذه قصة قطتي :

من كل عاطفتي ومـن وجداني
من فيض كل مشاعـري وحناني
مـن عمق أعماقـي أخط تحيتي
شعراً إليـك تصوغـه ألحانـي

(1) مجلة المجتمع الكويتية العدد (٢٤١) .

ما قلتـــه يومـــاً أداهـــن حاكمـــاً
أوقلتـــه فخـــراً ليرفـــع شـــاني
مـــا قلتـــه لحناً لكســـب معايش
شعري يصـــاغ لطـــاعة الرحمـــن
وبطـــاعة الرحمـــن أنشد راحتي
في جنة الفردوس والـــرضوان
مـــن بين قضبـــاني ومـــن زنزانـــتي
بين الظـــلام وقسوة السجـــان
أسمعـــك قصـــة قطـــة كانت لهـــا
في النفس آثـــار ونبـــل معاني
جـــاءت لتختطـــف الطعـــام بخلسة
وتروغ وســـط رحابـــة الجـــدران
ساءلت نفسي هـــل نجيـــز عقابهـــا
بالسوط والتعـــذيب والحرمـــان
كـــلا فمـــا اقترفته كان أساســـه
جوعـــاً يثير حفيظـــة الجوعـــان
ثارت على الحرمان وهـــي محقـــة
والأمر يخرج من يد الغضبـــان
لجـــأت إلى التنقيـــب عن زادٍ لهـــا
وبرغمهـــا جنحـــت إلى العصيـــان
ناديتهـــا فتمنعـــت من خشيـــتي
داعبتها فتوجســـت عـــدوانـــي

فقذفت فائض وجبتي في قربها
كيما أخفف ما ترى وتعاني
وتمر أيام فتألف صحبتي
قاسمتها زادي بغير تواني
علمتها ذوق الحلال فطلقت
ذوق الحرام ومنهج الشيطان
وتبيت تحرس وجبتي بأمانة
عجباً لصنع الواحد المنّان
هي شرعة الرحمن كم رسمت لنا
رشداً يحقق عزة الإنسان
كم لقنتنا الحب عذباً صافياً
تمحو به الأحقاد في تحنان
لو أنفقوا ما في الوجود جميعه
ما ألفوا قلباً بأي مكان
لكنه الرحمن ألَّف بينهم
فإذا بهم في قمة الأزمان
لو كان خير الرسل فظاً ما رأى
التاريخ شعباً حاطم الأوثان
لا يطفيء النيران نار مثلها
والحقد لا يمحوه حقد ثاني
من يزرع الأشواك يجني جرحه
بدم يسيل ودمعه الهتان

هذا طريقي في الحيـــاة أرومـــــه

خلــواً مــن الأحقـــاد والأضغــان

كل الذي أرجـــوه ديـــن محمــــد

تسمو بـــه صوب العــلا أوطاني

فالدّين توأمـــه الحكومـــة دائماً

إن صحت النيــات في السلطــان

الدين أصـــل والحكومـــة حارس

وهما بهـــذا الوصـــف ملتقيـــان

إن غـــاب أصـــلي في الحيـــاة فإنني

عدم بجوف القبر في أكفـــاني

أو ضـــل سلطاني فيـــا ويحـــي إذن

مما أكابد أو يضيـــع كيـــاني

دمعي عصي إن أرادوا سكبـــه

لكـــن درس قطيطـــتي أبكـــاني

عجبـــاً لأمرك قطـــتي في توبــــة

والجمع ملتفت إليـــك ورانـــي

خالفـــت كل محـــرم مـــن بعدهـــا

فارقت كل طبـــائع الحيـــوان

والناس بـــين جهالـــة وضـــلالـــة

لا يؤمنـــون بمنهـــــج القـــرآن

ضـــل ابن آدم نهجـــه متأرجحـــاً

ما بين مقترف الذنوب وزانـــي

ويبيت في ظلماته مترنحاً
فحياته ليست بذات معاني

قولي لهم يا قطتي درس الهدى
وخذي بأيديهم إلى العرفان

أو لقنيهم ما ينير قلوبهم
بالحب والإيثار والإحسان

لا ظلم لا استبداد لا استرقاق في
شرع الإله القاهر الديّان

سأظل حراً ما حييت منددا
بالبطش والجبروت والطغيان

روحي على كفي فداء عقيدة
في ظلها الوافي تخذت مكاني

ويظل صوتي ما حييت مجلجلاً
ذوق المهانة ليس في إمكاني

عَبْدالرحمن بارود

حياته :

ولد الأستاذ عبد الرحمن أحمد جبريل بارود في بلدة بيت دراس بالقرب من غزة عام ١٩٣٦ م ، وفي مدرستها تلقى علومه الإبتدائية ، وعندما قامت الحرب الفلسطينية اليهودية ترك بيت دراس وتوجه إلى غزة ، وفي مدارس غزة أتم دراسته الثانوية ، ومن غزة توجه إلى القاهرة شأنه في ذلك شأن جميع طلاب قطاع غزة الراغبين في الدراسة الجامعية ، ومن جامعة القاهرة حصل على الليسانس في آداب اللغة العربية عام ١٩٥٩ م ثم حصل على الماجستير عام ١٩٦٢ م ثم حصل من بعد على الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٩٧٢ م .

وبعد حصوله على درجة الدكتوراه توجه إلى المملكة العربية السعودية فعمل مدرساً للأدب العربي ثم أستاذاً للفكر الإسلامي في جامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة على شاطىء البحر الأحمر .

كان الأستاذ عبد الرحمن من أكثر شباب الدعوة الإسلامية نشاطاً في قطاع غزة ثم في القاهرة ، وقد عرفه كل من كان

له صلة بالدعوة الإسلامية في هذين القطرين شاباً يتقد حيوية ونشاطاً ويمتلىء اخلاصاً لدعوته وغيرة على دينه ووطنه .

ولم يرق نشاطه الإسلامي في القاهرة لأولئك الذين اخذوا على أنفسهم عهداً بأن يحاربوا الإسلام ودعاته في كل مكان ، فاعتقلوه أثناء قيامه بالتحضير لرسالة الدكتوراه ، وحاكموه محاكمة صورية ظالمة وأودعوه السجن لسبع سنوات عجاف ، قضاها كلها محروماً من أبسط الحقوق الإنسانية ، ولكن عزيمته بقيت قوية ، ويقينه ثابتاً إلى أن خرج من السجن فأتم دراسته وحصل على شهادته .

شعره :

برزت شاعريته وهو لم يزل طالباً في المدرسة الثانوية ، وعندما اعتقل في مصر كان قد أعد ديوانين للطباعة ، ولكن المباحث العامة التي داهمت منزله صادرتهما ولم يستطع عندما خرج من السجن أن يستردهما ، ففقد الشاعر وفقد عشاق الشعر الإسلامي ثروة شعرية قيمة .

ولقد كان لهذا الحادث تأثيره على شاعرنا ، أضف إليه انشغاله واهتمامه بالفكر الإسلامي تدريساً ونشراً ، فأخذ مع الأيام ينصرف عن الشعر ، وإن كان هذا الانصراف جزئياً إلا أنه أفقد جبهة الشعر الإسلامي شاعراً كنا نؤمل أن يكون في الطليعة بين شعراء الدعوة المعاصرين .

ولقد اهتم شاعرنا في شعره بأحوال الأمة الاسلامية ، فوصف نكباتها وعالج قضاياها واهتم بالنكبة الفلسطينية اهتماماً خاصاً ، فهي نكبة أصابت المسلمين عامة والشاعر خاصة ، فنراه يعالج أسبابها ويصف أحوال أهلها ، ويرفع صوته داعياً لانقاذها ..

استمع إليه يصف حقد اليهود وتآمرهم وكيدهم ، وكيف يلمح إلى من ساعد اليهود وتعاون معهم :

زحفوا يقطرون سماً زعافاً
وحفيد الحاخام فيهم أمير
ورقيق شروه من كل لون
ومن ابن السوداء فيهم كثير
ومع ابن السوداء يرميك رام
غدر من بنيك فظ كفور
وتلوت صفراء دهرية .. في
كل دار بيض لها وجحور
حين تخلو تهذي : « حيي وكعب
قينقاع .. قريظة .. والنضير »

ويلمس شاعرنا حاجة الأمة إلى الحرية ، لتستطيع أن تعبر عن ذاتها وأن تمارس حياتها وأن تطبق في بلادها منهج الحياة الذي تريد !

يا شموس الحرية الذل أعيانـــاً

.. فري بليلنـا المحـــزون [1]

اخفقي يا ابنة السما ، فالسنا الر

قراق يحنـو على قلـوع السنين

أنت أشهى مـن الطيـوب وأحلى

.. من حكايا النسيم للزيزفون

اخفقي في سمائنا إيــه يا أجمـــل

.. شمس تضيء ليـــل السجـين

ويأمل شاعرنا بعد مشرق لأمتنا لأن الإيمان لا يقهر ولأن ما قام على الاغتصاب لا يدوم ولأن الجهاد الحق لا بد ان يعقبه نصر مبين :

يا بلاد القرآن كم قوّض الله عروشاً قامت على الاغتصاب[2]
فشموس الإيمان أقوى من الموت وامضى من ألف ألف شهاب
روحنا الباسل المجاهد لن تقوى عليه ضراوة الإرهـــاب
ومحال أن يصبح الدم مـاء ويفر الجاني بغير عقاب

وقد نشر شاعرنا إنتاجه الشعري في كثير من الصحف الإسلامية نذكر منها : المسلمون التي صدرت أولاً في مصر ثم في دمشق وأخيراً في جنيف ، والشهاب اللبنانية ، والمجتمع

(١) قصيدة الحرية نشرَتها جريدة الشهاب اللبنانية السنة الرابعة العدد العاشر ص ١٤

(٢) البلاد العظيمة قصيدة نشرتها مجلة المسلمون العدد الأول سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .

الكويتية ، وحضارة الإسلام الدمشقية .

مختاراتنا من شعره :

١ ـ الحرية ، يؤكد الشاعر أن من أسباب نكبة هذه الأمة فرض الذل عليها وسلبها حريتها حتى أصبحت حبيسة الذل والهوان لا رأي لها ولا قيمة ، تباع وتشترى دون أن تبدي أدنى اعتراض ، ويبدي شاعرنا الذي كبلته القيود رهين سجون الطغاة في مصر ورهين الكلمة المحبوسة في الصدر أو في القراطيس لا يسمح لها الظالمون أن تنطلق فتؤدي رسالتها نوراً يضيء ليل الحائرين .. ، يبدي أمله في غد مرتقب تعمّ فيه الحرية فيعضّ على أيديهم الظالمون .

٢ ـ « السهام » « سهم من يا رماة ؟ » بهذا التساؤل الذي يتردد على كل الشفـاه بدأ شاعرنا قصيدته العصماء ... أهو سهم اليهود القديم الحديث ؟ أم سهم الخائنين من أبناء الأمة الذين آثروا المغنم العاجل فانحازوا إلى الأعداء ؟ أم سهم دعاة الأفكار الجاهلية الذين ارتكست فطرتهم فعادوا يعبدون أصنام البشر وما أحاطت به نفسها من كهانة حديثة ورقى وبخور على صفحات الصحافة المأجورة العميلة ؟

إنه سهم موحد صدر عن كل هؤلاء الأعداء ...

فأين من هؤلاء الأبطال الميامين أهل القرآن الذين نصروا بالرعب ، وأضاءوا بأنوارهم ظلمات العالم الحالكة السواد .

فاذا ما برز إلى الساحة أخ لأبي عبيدة فإن أولئك المستجيرين

ببيت العنكبوت سيتلفتون يوماً فلا يجدون أمامهم إلا الهزيمة والعار .

٣ ـ « غريب الديار » كم يتوق الغرباء للعودة إلى ديارهم ، وغريب العقيدة تتناثر في طريق عودته الأشواك وتكثر الحواجز ، ولكن عزيمة إيمانه ، واعتصامه بالله خالقه وثقته بنصره تجعله يستهين بكل الصعاب فيتغنى بالأمل المرجو ويشدو للفجر المرتقب .

وقصيدة الشاعر تعبر عن هذه المعاني بالرمز الذي يطل علينا مقترباً من الإفصاح لولا أنــه رمز ..

الحرية[1]

كيف ناحت ظلالها في عيوني ثم ماتت في جنب درب حزين
وتبقيت في فراغ جنوني يدوي حولي ، ويدمي ظنونـــي
واعذابي لفقدهـــا وادموعي فوق أحجار قبرهـــا واحنيني
الرياح المدمدمات يثرن الليل حولي مغرورقات اللحـــون
وطريقـــي الممل أسود مثل الموت يجري بين الفـــلا والحزون
وتظـــل الأشباح تصرخ في وجهـــي وتجتاحني طوال السنين
وعويل الشتاء يرعش آفاقي وينداح في الفجاج الجـــون
تتوارى مـــن خوفه صبية الزهر وتبكي جداول الزيتـــون
وأرى الرعدة السقيمة تقوى في الجذوع الكبـــار والياسمين
وتلوح الحياة قاتمة الأغوار ، يعلو فيها نحيـــب القرون

* * *

الرياح السوداء تصرخ في الوديان فوق الذرى وحول الوكون
والجياع المشردون يلمون عليهم لحـــاف خيـــش مهـــين
ويغنـــون للـــدجى ، ويمجـــون دم القلب بين حين وحين
وأرى الكائنات تبحث في الليل الجليدي عن مكان أمين
وتدوي زوابـــع الثلج بالموت ويطغـــى زئيرهـــا في جنون
وأرى في غياهب الدمع مليون حبيب عـــلى حـــراب المنون

---

(١) الشهاب اللبنانية ، العدد العاشر ، السنة الرابعة ، ص ١٤ .

آه يا ليل ... أطفأ اليأس والظلم قناديل حينا الميمون
والأيادي العمياء تحفر في التاريخ مأساة جيلنا المسكين
والضحايا تدب فوقهم الخيل ومن ذا يرد دين المدين
أين يا ليل ، أين أدفن أحزاني وما فيك نجمة تهديني
أقلعي يا سفينة الموت ، فالسحب تذرو الدموع فوق القطين

* * *

يا شموس الحرية الذل أعيانا فري بليلنا المحزون
اخفقي في سمائنا ننفض الترب ، ونرم الأكفان في الأتون
وتدوي الأمواج بعد خمود يقتلعن الجدران حول العرين
اخفقي يا ابنة السما ، فالسنا الرقراق يحنو على قلوع السنين
أنت أشهى من الطيوب وأحلى من حكايا النسيم للزيزفون
أنت رقص الورود في صحوة الكون وومض الندى على الليمون
اخفقي في سمائنا ، إيه يا أجمل شمس تضيء ليل السجين

السهام

« سهم من يا رماة » ... والليل كا
لقار جثا ، والرماة جمّ غفير
وهي تنهال صوب قلب عزيز
كلِّ ذي غارة عليه يغير
لمعت في طباق عمياء قفر
لمعان البروق إذ تستطير
صوّروهن للجهول رياحاً
تضرب المزن ، ودْقهنّ غزير
« فِرَّ واسلم » .. كذا أجابوا ولمّا
ينظروا للسماء وهي تمور
حجر ما همو ... ولو عقلت عاد قد
يماً لم تقتلعها الدّبور
... وتظل السهام تبرق في الأجواء
في ليلنا ، لهن صفير

* * *

دهمتك الدنيا ، وقد غرق الحرّاس
في البحر ، والنجوم تغور
زحفوا يقطرون سمّاً زعافاً
وحفيد الحاخام فيهم أمير

ورقيق : شروه ، من كـلّ لـون
ومن ابن السوداء فيهـم كثـير
ومـع ابن السوداء يرميـك رام
غُدَرٌ مـن بنيـك فـظ كفـور
وهمو واحد وإن سَحَر الأعـين
ألـفٌ مـن نسـل إبليس عـور
وتلَوَّت صفـراء دهريـة ... في
كل دار بَيْضٌ لهـا ... وجحور
حين تخلـو تهذي : « حيي وكعب
قيْنقاع ... قريظـة ... والنضير »

* * *

وقطيـع .. يعدو .. بشنتين ..
مخزومٍ .. وفوق الأعناق نيرو نير
خان عهد الجبـار وانسـل ...
فانقضّت عليه الأقدار .. فهو كسير
يسخر الكون منه : « هذا قطيع العار» ..
« هذا الخؤون .. » « هذا الغرور »
ربّ يوم خلا ، ودارُكُمُ الأرض
وانتم فيهـا السـراج المنير
أغربوا يا ذراري العار ... لا تعرف
هذي الأحجار تلـك البُـدور

يا عبيد العبيد ... دنياكمو رجس

.... وهذا الذي تلوكون ... زور

هُبَلٌ في دياركـم .... حوله الكهان

.. والهدي .. والرّقـى .. والبخور

* * *

أين مني أبو عبيدة والقُرّاء ؟ ؟ ...

مات الرِّعاءُ والأرض بـور

ولـواء أشم ، مـن جنده الرّعب ،

مضيء كالشمس ، نـار ونـور ؟

نحن أهل القرآن ، والله مولانـا ،

فنعـم المولى ، ونعـم النصـير

رب ألف من الرجال بِظُفـر

من شهيـد ، تخطفتـه الطيـور

يحكم الله بيننـا .. كـلّ هـذا

الكون عبد ... وهو العليّ الكبير

ومضـةٌ تطحـن المغيرين طحنـاً

فبقاياهمـو رمـاد يطـير

سقطوا في الجحيم كالشحم .. واسودّت

عليهـم .. كالفحـم ... وهي تفور

* * *

مُرّ بالواد .. « ياثمود .. » ومن أيـن
ثمـود ؟ ؟ ... ما ظـل الاّ الصخور
يا ذبابـاً بالعنكبـوت تغنّـى
ليس للعنكبـوت بيت يجُـير

غريب الديار

قصيدة رمزية تعبر عن رحلة المؤمن الغريب في عصرنا عائداً إلى دار الاسلام وما يعترض طريق عودته من عوائق وأخطار . وهو مع ذلك قوي بالله مستبشر ، يتغنى بالصباح الجميل وهو في ظلام المحن .

يرحـــل المـوت يا خدود الورود
وتدب الحياة في كـل عـود
ولجين الأنهــار يجري مرايـــا
وأريـج التفـاح ذو تغـريــد
وحبيبي يطــل مـن قمـم الخلد
على موكـــب الصبــاح الجديد
عابر.. يقطع الدياجي .. غريبـــاً
ويغنــي في دربـــه المـــدود
لم تقلـل حنينـنـــا الصرصـر القـر
ة في وحشة الليالــي السـود
في السويـداء أنت أيتهـا الــدا
ر .. برغم الهـوان والتشـريد

وبعينيه بـــذرع الأفـــق والأنــــــ
ــــجم تنـأى خلــف الغمــام الوئيد

« أنت نور السماء والأرض يعنــو
لك ما في الوجود من موجود »

« أنت أدنى إلي مني .. ومـــولا
ي الذي في يديه حبل الوريد »

وعــواء الذئاب في الغـــور نـــاء
تترامى أصداؤه في النجــــــود

رجل . والرجال قل . وما يعجم
عـــود الرجـــال غـــير الصمود

والدجى يورث الدجى وكأن الفجر
قـــدمـــات منـــذ عهـــد بعيـــد

غير شمس في القلب فاز بها
أحبابه) .. دونها شموس الوجود

وإذا الجـــوع عضـــه أشبعتـــــه
كسرة من جرابـــــــه المعهـــود

يصبر الحر للزمان ولا تغـــــبر
نعـــــلاه في ركــــاب العبيد

« ستراني أمـــرغ الخـــد في الـــتر
ب وأفني عن الســوى في سجودي »

« هائمــاً كالنسيم في الروض كالنو
رس .. في عالم بغير حـــدود »

« يوم آتى الديار أُعتــق يا مـــو
لاي من غربة تطــوق جيــدي »
ويشد الغريب خنجــره الضخـــ
ـــم وقلب الظلمـــاء كالجلمــود
ورؤوس الجبــال تضرب في الغيــ
ـــم ، وتهوي الوديــان كالأخدود
هذه الكأس في يد الدهر مـــلأى
للمولّي ، والمسعـــر الصنديـــد
كم أطار الصدى قلوباً .. وكم ذا
قفّ شعر الهيّابـــة الرعديــد !
رب موت يرد موتاً زؤامـــاً
وشهيد يفدى بألـف شهيـــد
ينشد الدار بعد أن ضاع دهـــراً
في ديار العذاب .. والتهديـد
يتلقى الرياح .. والبرد .. والأمـ
ـطار في برده الغليظ الزهيـد
كلما هم بالوقوف لحيظـــا
تٍ أهابت به رماح الجـــدود
وبدور طـاروا هويّـا من الليـــ
ـــل وحطـوا على ضفــاف الخلود
صمــدوا والحريق يعلو ودبـا
بات نمروذ قاصفـــات الرعــود

ولـغ الكلب في دماهم وقد فلّـــ
ــق هاماتهم .. وهـــم في القيــود
وطوتهـــم مجاهـــل الغيـــب لا إنســـ
ـــان يدري لحداً لهم في اللحــود
ولو أن الجمـــاد بـــاح بســـــر
خبرت عنهم ألـــوف الشهـــود
« ربح البيع يا بدور ، وهـــدت
مضغـــة اللحم كبريـــاء الحديــد »
« بـــاء نمروذ بالعـــذاب وظلـــت
وصمـــة العار في جبـــين الجنود »
ويطول الطريق .. والروح ظمأى
« اطفئي يا غيوث حر الكبــود »
غربة ذاقها (الخليلان) .. عـــادت
بعـــد دهـــر إلى حفيـــد الحفيـــد
« قدك يا ســاقي الطلا . كلما كـــف
الندامى أغريتهـــم بالمزيـــــد »
« ومنـــــاد إلى الرحيـــل ينـــادي :
« أسرعوا ما لنا هنـــا مـــن قعود »
والظـــلام المطـــير ينسفـــه الـــبر
ق وتعـــدو الضبـــاع عـــدو الطريد
وتراءت لعينـــه الدار عـــن بعـــ
ـــد فسـالت دمـوعه كالوليـــد

دارنا روضة من الخلد فيها
يعرف الآدمي معنى الوجود
دارنا أولياؤها الملأ الأعـ
ـلى وفود تحل إثر وفود
أسرة الكائنات فيها قلوب
قد أضاءت بالحب والتوحيد
لا كمن يشترون بالدُّر عِرّاً
وبزي الإنسان زي القرود
وتصدى له من الصخر وحش
كاسر جازر غليظ الزنود
يتولى فيسبق الريح مغوا
ر الدياجي بنابه المبرود
ظاهر عائر قريب بعيد
جبلي ألدُّ جِدٌّ حقود
« يا لها مؤتة ! » ومد إلى الخنـ
ـجر يمناه للصراع العنيد
« دارنا صوب مشرق الشمس أهديـ
ـك فؤادي في يومك الموعود »
« إن أمت قبل أن أراك بعيني
فعلى الدرب إخوتي كالأسود »
« لكأني أرى أبا بكر الصد
يق فيهم وخالد بن الوليد »

وانبرى الوحش من جديد وضوء الـ

ـبرق يجلوه لحظة ثم يودي

دانياً دانياً وشب على خَلْـ

ـفيتيه بشعره المشدود

لحظة ليس غير واندفع الخنـ

ـجر في القلب هائل التسديد

فتدهدى ولم تزل قبضة الفو

لاذ في الجو في انتظار المزيد

« حسناً » .. ثم تابع السير في الإعـ

ـصار يتلو آي الكتاب المجيد

موغلاً في جبال الموت قهراً

نافذاً من طريقها المسدود

« لا كلالاً .. والليل ولّى وزالا

وتلالا وجهُ الصباح السعيد »

« من بعيدٍ . لاحت قباب الخلود

لا كلالاً . عيدٌ ولا ألف عيد » .

الفهرس

تطلب جميع منشوراتنا من :

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سورية - بناية صمدي وصالحة

هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٩٥٥٠١ - ص.ب ٧٤٦٠ - برقياً: بيوشران